

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محمد أولحاج
- البويرة -

Faculté des Letters et des Langues

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

انشطار الهوية وتبئير الهامش في رواية "غربة الياسمين لخولة حمدي"

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إشراف الأستاذة:

د.ة. سوها رومي

إعداد الطالبة:

-إكرام بوركاب

لجنة المناقشة:

- | | | |
|--------------|---------------|--------------------|
| رئيسا | جامعة البويرة | 1-أد/ نعيمة بن علي |
| مشرفا ومقررا | جامعة البويرة | 2-د/سوها رومي |
| عضوا مناقشا | جامعة البويرة | 3-د/سارة محفوظ |

السنة الجامعية: 2026/2025م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

بكل حب وفخر أهدي ثمرة نجاحي وتخرجي إلى نفسي الطموحة التي بدأت بطموح وانتهت بنجاح.

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار "أبي الغالي" (رحمه الله) الذي كان حلمي أن يرى ثمرة جهدي لكن إرادة الله شاءت أن يرحل قبل ذلك أهديك هذا التخرج يا أبي، لن أنساك ما حيت وسيبقى اسمك دائماً مصدر فخري .

إلى من أوصاني الله بها خيراً وجعل الجنة تحت أقدامها، إلى من بفضل دعائها تحقق نجاحي "أمي الحبيبة" أطال الله في عمرك وحفظك لنا من كل سوء.

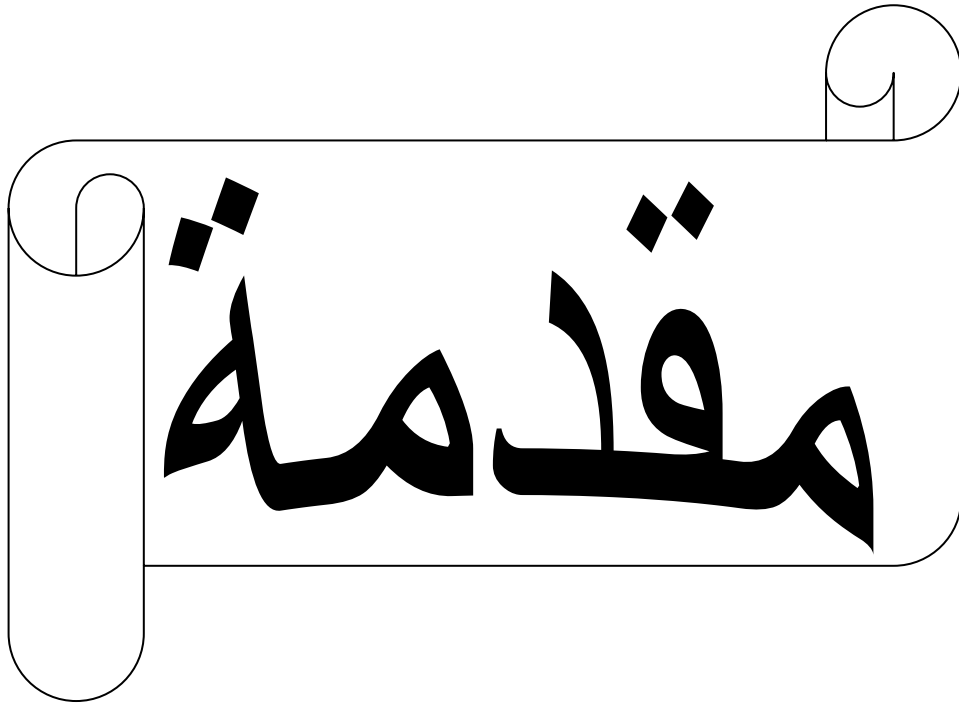
إلى سندي الذي لا يميل "إخوتي الأعزاء" أنتم الأمان وقت الخوف والفرح وقت التعب بكم شعرت أنني لست وحدي وبكم كبرت ونجحت أطال الله في أعماركم وحفظكم لي من كل سوء وجعل بيننا دائماً المودة والمحبة، أحبكم كثيراً.

إلى "زوجة أخي الغالية" التي كانت لي أختاً حفظك الله لنا .

وإلى "أبناء إخوتي الأعزاء" الذين ملأوا حياتي فرحاً وبراءة أدعو الله أن يحفظكم ويبارك فيكم ويجعل مستقبلكم مليئاً بالنجاح والتوفيق.

إلى كتكوتي الصغير "سعيدو" حبيب عمته أدعو الله أن يحفظك ويجعلك من الناجحين والصالحين.

إلى صديقتي العزيزات "أسماء" و"سامية" رفيقتي درب النجاح والذكريات الجميلة.



شهدت الدراسات الأدبية المعاصرة تحولات عميقة حيث انتقل الاهتمام من المركز إلى الهامش، وتعد الهوية من أبرز القضايا التي شغلت الفكر الأدبي قديماً وحديثاً، خصوصاً بعد التحولات التي شهدتها العالم من تحولات ثقافية، وسياسية واجتماعية، مما أدى إلى بروز صراع بين المركز والهامش، وبين الهوية والانتماء، وبعد اطلاقنا على رواية "غربة الياسمين" التي تعكس التوترات والصراعات التي يعيشها الفرد المهاجر داخل فضاءات اجتماعية وثقافية غريبة مغايرة تماماً لواقعها، تفرض عليه تغيرات تطمس هويته من أجل دمجها داخل المجتمع الغربي وتجعله في صراع بين الانتماء أو الرفض.

ارتأينا دراستها دراسة تحليلية للشخصيات المهاجرة والمهمشة، تحت عنوان "انشطار الهوية وتبئير الهامش لخولة حمدي" ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع؛ أولاً الاهتمام الشخصي بموضوع معاناة المهاجرين من إقصاء وتهميش داخل فضاءات المركز، وقلة الدراسات التي اهتمت بهذا الموضوع. وهدفنا من هذا البحث هو دراسة كيف تعاملت الروائية "خولة حمدي" مع موضوع الغربة وكيفية تصويرها للتحديات والصعوبات، التي يواجهها المهاجر في فضاء غربي مغاير لهويته وثقافته، ومن أجل دراسة هذا الموضوع لابد من طرح الإشكالية التالية:

هل رواية "غربة الياسمين" كتبت عن الذاكرة الموشومة بحثاً عن أزمة الذات المهمشة في علاقتها بالمركز؟ أم أنها تحاول أن تعكس الصراع الداخلي للذات في بحثها عن حقيقة الدمار والخسائر التي لحقت بها؟

كيف تكتب "خولة حمدي" عن الهجرة في ظل الأزمات التي تمر بها المجتمعات العربية؟ هل تنتقد التهميش الذي يطال المهاجر؟ أم أنها تكتفي بنقل رؤيتها لعالم الغربة وحال المهاجرين؟



ولإجابة على هذه الإشكالية قسمنا بحثنا إلى فصلين: فصل نظري وفصل تطبيقي حيث جاء الفصل الأول تحت عنوان "الإطار المفاهيمي لأدب الهامش"

وتناولنا فيه ثلاثة مباحث ،حيث جاء المبحث الأول ب:"مفهوم أدب الهامش" وتناولنا فيه المفهوم اللغوي والاصطلاحي لأدب الهامش، ثم نشأة أدب الهامش عند العرب وعند الغرب، وبعدها تطرقنا إلى مجالات أدب الهامش، ثم المبحث الثاني الذي كان تحت عنوان "مصطلح التبئير" وتحدثنا فيه عن مفهوم التبئير والمؤبر ثم الشخصية التبئيرية، وبعدها أشكال التبئير، وأمّا المبحث الثالث بعنوان "الهوية" تطرقنا فيه إلى مفهوم الهوية بالمعنى اللغوي والاصطلاحي ثم الهوية في الفلسفة، وبعدها الهوية الاجتماعية، وأيضًا الهوية في علم النفس، وبعدها تطرقنا إلى الهوية في الرواية بعد الكولونيالية .

أمّا الفصل الثاني المعنون "بهوية المهاجرين بين التبئير والتهميش" وجاء فيه ثلاثة مباحث، المبحث الأول "الغربة وواقع المرأة" وتناولنا فيه هجرة المرأة والمرأة المهمشة ثم المرأة الضحية.

ثم قدمنا المبحث الثاني "هجنة الفضاء" وأمّا المبحث الثالث بعنوان "النسق الثقافي للمهاجر"، تحدثنا فيه عن تمثيلات المهاجر وتبئير المهاجر، ثم الصراع بين المركز والهامش ، وبالنسبة لأهم المراجع المعتمدة في هذا البحث والتي ساعدتنا كثيراً، نذكر منها" الهامش الاجتماعي في الأدب قراءة سوسيو ثقافية" لهويدا صالح و"إشكالية الآنأ والآخر" لماجدة حمودو"الآداب الهامشية أو الآداب المضادة" لبيرنار موراليس ترجمة حسن طالب وكذلك "الهوية" لحسن حنفي وفيما يتعلق بالمنهج المتبع الذي اعتمدنا عليه في بحثنا هو النقد الثقافي، الذي يعتبر من أهم الظواهر الأدبية التي رافقت بعد الحداثة في مجال الأدب والنقد، باعتباره بديلاً منهجياً جديداً، يهتم باستكشاف

الأنساق الثقافية المضمرة، ودراستها في سياقها الثقافي والاجتماعي والسياسي والتاريخي والمؤسساتي، فهما وتفسيرًا.

أما الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث هي نقص في دراسات هذا الموضوع مما صعب عملية الاستناد إلى الأعمال السابقة وأيضًا صعوبة ضبط المفاهيم النظرية.

وفي الختام أتقدم بجزيل الشكر إلى الأساتذة المشرفة "سوهة رومي" التي لم تبخل بتوجيهاتها القيمة والتي أشرفت بعناية فائقة على هذا البحث، فأشكرها على اهتمامها وتواضعها، ولها كل الاحترام والتقدير على جهودها المبذولة، من صبر ومرافقة علمية، كما أشكر كل من مدّ يد العون لإنجاز هذا البحث شكرًا لكم.

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي

لأدب الهامش

- أدب الهامش

- مصطلح التبئير

- الهوية

تمهيد

إن الكتابة عن المهمشين، أو تلك الأدبيات التي تتخذ من المهمشين موضوعاً لها قد تبدو كتابة تتحدى الكتابة النمطية السائدة، كتابة تبحث عن المُقصى والمهمش والمنسي، لتحاول كشف عالمه وإلقاء الضوء على هذا العالم. قد يبدو تصنيف الكتابات المتمردة، على سلطة الكتابة والبلاغة التقليدية، بوصفها أدب المهمشين تصنيفاً إقصائياً، يحرم هذه الكتابات حق الاندراج في خريطة الأنواع التي تعطي النص مصداقيته ومشروعيته، وقد تبدو كتابة جديدة تتحدى سلطة الكتابة المهيمنة، على الذوق العام باحثة عن نغمتها الخاصة وسط المألوف والمعتاد، لتصبح الكتابة فعلاً من أفعال المقاومة، لتهميش الذات الاجتماعية، وفكرة التهميش ليست بالفكرة الحديثة بل هي فكرة قديمة، منذ أن وعى الوجود البشري على القمع والقهر والاستغلال فهم جماعة لم تستطيع التكيف مع العالم، وهم هامشيون بصورة متميزة.

المبحث الأول: أدب الهامش

أولاً: مفهوم الهامش:

أ - لغة:

وَرَدَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ أَنَّ الْفِعْلَ:

«هَمَشَ: هَمَشْتُهُ، هَمَشَ وَهَمَشَ، وَهَمَشَ الْقَوْمُ فَهُمْ يَهْمَشُونَ وَيَهْمَشُونَ، وَتَهَامَشُوا، وَامْرَأَةٌ

هَمَشَى بِالتَّحْرِيكِ: تَكَثَّرَ الْكَلَامُ وَتَجَلَّبُ، وَالهَمَشُ: السَّرِيعُ الْعَمَلِ بِأَصَابِعِهِ».¹

أما في قاموس المحيط:

نَجِدُهُ عَلَى أَنَّهُ:

«الهامش: حَاشِيَةُ الْكِتَابِ (مَوْلَدٌ)، وَيُعْنَى بِهِ الْكَلَامُ الْخَارِجُ عَنِ الْمَتْنِ فِي الصَّفْحَةِ، فَنَجِدُهُ عَلَى حَا

قَةِ الْكِتَابِ، وَهَذَا التَّعْرِيفُ لِلْهَامِشِ هُوَ إِضَافَةٌ جَدِيدَةٌ لِلْعَرَبِ، أَخَذَهَا الْعَرَبُ عَنِ الْفُرسِ».²

وحسب المعجم الفرنسي يقول "أحمد شراك" في ملف أعدته مجلة آفاق:

أن الهامش يأخذ دلالاتٍ متعددةً حسبَ السياقِ والاستعمالِ وزاويةِ النظرِ، فهو المَسَاحَةُ البَيضاءُ

فِي مُحِيطِ النَّصِّ الْمَخْطُوطِ أَوِ الْمَطْبُوعِ، كَمَا يَعْنِي فَارِقًا فِي الْفَضَاءِ كَمَا فِي الْوَقْتِ، وَيَعْنِي كَذَلِكَ أ

لِمَجَالِ الْمَثْرُوكِ بَيْنَ حُدُودٍ مُعَيَّنَةٍ، وَنَقُولُ: يَعِيشُ فِي الْهَامِشِ أَيَّ يَعِيشُ بِدُونِ مُرَاعَاةِ الْمُجْتَمَعِ أَوْ لَا

يَكُونُ مَقْبُولًا مِنَ الْمُجْتَمَعِ، كَمَا أَنَّ الْهَامِشَ يُرَادِفُ الْحَاشِيَّةَ أَوِ الْإِحَالَةَ فِي الْكِتَابَةِ.

وَحِينَ الْبَحْثِ عَنِ الْكِتَابَةِ الْهَامِشِيَّةِ قَدِيمًا، كَانَتْ تُلْحَقُ بِالنَّصِّ الرَّوَائِيِّ فِي أَسْفَلِ الصَّفْحَةِ لِإِضَاءَةِ الدِّ

مَتْنِ وَتَفْسِيرِهِ مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ، إِلَّا أَنَّ الْكِتَابَةَ فِي الْهَامِشِ قَدْ تَكُونُ تَنَفُّسًا عَنِ

¹ هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب قراءة سوسيو ثقافية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1،

2015، ص41

² دليلة لباح، المركز والهامش، مذكرة دكتوراه، جامعة بسكرة، 2015 - 2016، ص14

المتن بِحُكْمِ ضَعْفِ الْمَتْنِ، وَقَدْ تَكُونُ تَتَفُسِّيًا مِنْ خِلَالِ الْهَامِشِ، فَقَدْ تُعَبِّرُ عَمَّا لَا يَسْتَطِيعُ الْمَتْنُ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْهُ.¹

نجد أيضًا مفهومًا آخر للهامش حسب "جيرار جينات" في كتابه «العتبات النصية»

«حالة نصية طباعية إحصائية ومرجعية، ترتبط بكلمة أو عبارة أو فقرة أو مقطع بطريقة محددة أو

غير محددة، فقد يكون الإهداء الذي يكتبه الكاتب في بداية النص، والذي قد يراه القارئ هامشًا

لا يؤثر كثيرًا في النسق الدلالي للمتن».²

نستنتج من هذه التعريفات أن الهامش، يتسم بالحركة ولا يستقر على معنى واحد.

ب- اصطلاحًا:

تعددت التسميات له حينًا يُسمى «بالأدب الدوني وحينًا آخر بالأدب السوقي وأحيانًا بالأدب

الهامشية، وبين هذا القطاع الذي تجاهلته الكتب الموجزة حتى عهد حديث وميدان الأعمال يقوم

بتبادل مستمر على مستوى المواضيع والأفكار والأشكال، ويحدث أحيانًا أن يُنقل نتاج أدبي من

قطاع إلى آخر.³ فهو بذلك يعتبر هامشي، بمعنى الأدنى والأبخر.

وترى "هويدا صالح" في كتابها "الهامش الاجتماعي في الأدب" أن مصطلح الهامش نعني به أنه

يشير إلى جماعة بشرية، وحركة تقف على يسار المركز وتتمرد عليه في الغرب، فقد ظهرت

مجموعات كثيرة تُسمى بالهامشيين أو الحركة الهامشية، وهذه المجموعات كانت تتحدر من حركة

الهجرة، أطفال المهاجرين الذين يعيشون في الشارع نتيجة لممارسات تمييزية أو فرز اجتماعي

يستبعد الآخر ويبخس أخلاقه وينفي عنه أي قيمة لأنه غير متماثل

¹ ينظر: هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، ص 42 - 43

² المرجع نفسه، ص 44

³ - روبير اسكارييت، سوسيولوجيا الأدب، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.س)، ص 38

مع المركز.¹ وبهذا التعريف نلاحظ أن الكاتبة تميز بين المركز والهامش، من حيث الصراع الطبقي ويعتبر الهامش، هو تلك الأقليات والطبقة الدونية التي لا ينظر لها إلا من فوق من قبل الطبقة العليا وهي المركز.

كما نجد الباحث المغربي "عبد الحميد عقار" عرّف أدب الهامش

«بأن يصير المهمشون موضوعاً للسرد، يسعى الأدباء إلى أن يلتفتوا إلى المسكوت عنه واللامقول في المجتمع ويجعلونه موضوعاً لهم، وتصير الكتابة وسيلة مقاومة.»² معنى ذلك أن أدب الهامش، هو الكتابة عن المسكوت عنه والمهمش في النصوص الأدبية.

ثانياً: نشأة أدب الهامش

أ- عند العرب:

إن أدب الهامش والجماعات المهمشة، هي فكرة قديمة منذ أن وعى الوجود البشري على القمع والقهر والاستغلال ففي مجال الدراسات الأدبية، لا يمكننا تجاوز ما تحفل به كتب الأخبار والآداب في تراثنا من حكايات عن شعراء اتخذوا موقفاً عيبياً من بلاغة عصرهم، ووقفوا موقفاً معادياً للسلطة الرسمية وتجنبوا الفرص للسخرية من اللغة التي صنعت بلاغة العصر، دون أن نقارب فكرة التهميش ولا يمكننا تفسير الاحتفاء بالمهمشين في السير الشعبية وجعلهم أبطالاً محاطين بهالة أسطورية بمعزل عن تأكيد حضورهم ردّاً على تعسف أهل السلطة، فمن ينظر إلى "شعر سافو" شاعرة الإغريق التي تمردت على ما يكتبه شعراء عصرها، من ملاحم وقصص البطولة والمعارك واتجهت هي اتجاهًا خاصاً في الشعر تعبر عن عواطفها الذاتية والإنسانية، يمثل أيضاً شعراء

¹ ينظر: هويدا صالح، الهامش الاجتماعي، ص 49، 50

² المرجع نفسه، ص 109

الصعاليك، والشعراء العذريون أيضاً نموذجاً للمهمشين.¹ نعني بذلك أن أدب الهامش، عند العرب منذ القديم منذ أن بدأ القهر والاستغلال، والقمع البشري فظهرت جماعات كرد فعل، على هذا الاستغلال.

ب- عند الغرب:

نجد أن الأدب الهامشي « قد شاع في العقد الأخير من القرن العشرين شيوعاً كبيراً، وانتشر استخدام المصطلح، ليس كمصطلح اجتماعي وإنما كمصطلح أدبي على نطاق واسع، وتبعاً لذلك انتشرت فكرة التهميش بصفة عامة، كفكرة تنطلق من أهمية التخلي عن مفاهيم عنصرية وإقصائية، بعد أن دخل العالم بعامة والمجتمعات العربية بخاصة، إلى أزمات اقتصادية تتبعها بالطبع أزمات اجتماعية وسياسية، وجاء كرد فعل على إخفاق النظم الراهنة في منح طبقات المجتمع الدنيا العناية الكافية، وبالتالي وقوع جزء كبير من المجتمع في دائرة التهميش، وسقوطها من دائرة اهتمام الحكومات ووقوعها في أزمات اقتصادية واجتماعية حادة.»²

نستنتج إذاً أن أدب الهامش، ارتبطت نشأته بالتحولات الاجتماعية التي وقعت، منها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فهذه التحولات والفروقات نتجت منها فئة مهمشة التي أخذت النص الأدبي أداة مقاومة له لإظهار صوتهم.

ثالثاً: مجالات أدب الهامش:

تعددت وتنوعت المجالات في أدب الهامش، فنجدها أنها تعزم على معالجة عدة قضايا، وهي

¹ ينظر: هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، ص 104، 106

² المرجع نفسه، ص 90

« قضايا الهامش الاجتماعي في شتى تجلياته سواء الهامش الديني أو الجغرافي أو النسوي.»¹

إذاً من مجالات أدب الهامش نجد أيضاً « ظهور الحركات الاجتماعية الجديدة مثل النسوية والزنج»²، وأيضاً من بين مواضيع أدب الهامش، نجد أدب الطفل من بين أهم المواضيع التي تطرق لها أدب الهامش « وفي هذا القهر يقع قهر مضاعف على المرأة والطفل معاً.»³

فأدب الطفل كان ضمن أدب الهامش لاعتقادهم أن الاختلاف في التفكير قد يؤدي إلى نزول في المستوى.

ففي كتاب "الآداب الهامشية أو الآداب المضادة" نجد أن موضوعات أدب الهامش تكون:

« مغرقة في الخصوصية والمحلية أو تناولها لآداب نائية، كأدب المستعمرات وأدب الزنج والأفارقة أو أدب الجزر والأرخبيلات وغيره.»⁴

ومن خلال منظور "اسكارييت" يقدم سلسلة من الدراسات حول الآداب الهامشية، نجد من مجالات أدب الهامش أيضاً « أدب الباعة المتجولين والرواية الشعبية وأدب الأطفال والراديو والأدب والسينما والأدب.»⁵

وعلى هذا الأساس يمكن استنتاج أن أدب الهامش، يدرس ويختص بكل فئة مهمشة لأسباب اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، وهو كرد فعل للدفاع عن المهمشين، مثل النسوية والطفل

¹ هويدا صالح، الهامش الاجتماعي، ص 63

² المرجع نفسه، ص 63

³ المرجع نفسه، ص 61

⁴ برنار موراليس، الآداب الهامشية أو الآداب المضادة، تر: حسن الطالب، (د.ط)، (د.ن)، (د.ص).

⁵ برنار موراليس، المرجع نفسه.

والزنوجة، والمهاجرين.

ولكي يتمكن النقاد من دراسة المهمش في الرواية عكفوا إلى محاولة تبئيره، واستبدال موقعه الفني من الهامش إلى المركز، وليست سلطة أدبية ونقدية فحسب، بل إن الثورة ما بعد الكولونيالية تمكنت من ترسيخ المهمش وتبئيره في الوسط الاجتماعي؛ إذن ماهو التبئير؟

المبحث الثاني: مصطلح التبئير

أولاً: مفهوم التبئير:

إِسْتَعْمِلَ مُصْطَلَحُ الْبُؤْرَةِ وَالتَّبْئِيرِ، فِي اللِّسَانِيَّاتِ التَّدَاوُلِيَّةِ قَبْلَ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى مَيْدَانِ الرِّوَايَةِ وَالنَّقْدِ الرَّوَائِيِّ.

الْبُؤْرَةُ كَلِمَةٌ عَرَبِيَّةٌ فَصِيحَةٌ تَعْنِي الْحُفْرَةَ، وَالْفِعْلُ مِنْهَا بَارٌّ يُبَارُّ بُؤْرَةً، وَالْبُؤْرَةُ تَرْجَمَةُ عَرَبِيَّةٌ اقْتَرَحَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ "أَحْمَدُ الْمُتَوَكِّلُ" اللِّسَانِيُّ الْوُطَيْفِيُّ التَّدَاوُلِيُّ فِي كُتُبِهِ، ثُمَّ شَاعَتْ وَانْتَشَرَتْ بَيْنَ اللِّسَانِيِّينَ الْعَرَبِ فِيمَا بَعْدُ.

مصطلح التبئير: مقصود به جعل العنصر، أو المكون بؤرة في الكلام، ويعني زاوية الرؤية ووجهة نظر الملاحظ، وهي وجهة نظره في رواية القصة، على الرغم من أن المرشح الأساسي للتوجيه المنظوري للنص هو السارد، فإن معلومات النص قد تُقَيَّدُ حسب إدراك أو معرفة أو جهة نظر شخص ما، فالتبئير هو أداة الاختيار، وتقييد معلومات السارد ولرؤية الأحداث من وجهة نظر شخص ما، لخلق رأي متعاطف أو ساخر من المؤبر.¹

بناءً على ما سبق، يمكن القول أن التبئير هو الطريقة التي يعرض بها السارد أو الكاتب المعلومات وتقييدها، وهو الذي يحدد كيف ترى الأحداث ووجهة نظر الشخص.

¹ - ينظر: يان مانفريد، مدخل إلى نظرية السرد، تر: أمانى أبو رحمة، د.ط، ص94

ثانيًا: المؤبّر:

المؤبّر هو الوسيط أو الفاعل الذي يوجّه وجه نظر النص، ويرتكز النص على وجه نظر المؤبّر عندما يعرض أفكار المؤبّر وانعكاساته، ومعرفته وتخيّلاته الإدراكية، والفعلية وتوجّهاته الإيديولوجية والثقافية. ووفقًا "ليان وريمون كينان": «أن المؤبّر يمكن أن يكون خارجيًا (السارد) أو داخليًا (شخصية)، أما المؤبّرون الخارجيون، فيمكن أن نطلق عليهم (المؤبّر-السارد)، في حين المؤبّرون الداخليين، يُشار إليهم بالشخصيات التّبئرية».¹

ثالثًا: الشخصية التّبئرية:

«هي الشخصية التي تعرض الوقائع والمواقف المسرودة وفقًا لوجهة نظرها، وهي شخصية صاحبة وجهة النظر أو زاوية الرؤية»². وتسمى كذلك بالمؤبّر أو بؤرة السرد، أو المالك لوجهة النظر، وهو أيضًا الوعي المركزي، أو مصدر المعلومات المركزي، أو الشخصيات المرشحة. وقد يكون المؤبّر شخصية رئيسية في النص الأدبي، ولكنه شخصية مهمشة في الواقع الخارجي، مثل الزنجي والطفل والمرأة والمجنون، وغيرهم.

رابعًا: أشكال التّبئير:

لدينا أربعة أشكال أو قوالب رئيسية للتّبئير.³

¹ يان مانفريد، مدخل إلى نظرية السرد، ص 94. 95.

² المرجع نفسه، ص 95

³ المرجع نفسه، ص 95

1 **التبئير الثابت:** وفيه يكون عرض الأحداث، والحقائق السردية من وجهة نظر ثابتة لمؤبر مفرد.

2 **التبئير المتغاير:** عرض حوادث عرضية مختلفة في القصة، من خلال رؤية مؤبرون متعددون.

3 **التبئير المتعدد:** وهو تقانة عرض الحدث العرضي، بتكرار من خلال رؤية مؤبر داخلي مختلف في كل مرة. فإن ما يعرض بهذه التقانة هو ميل الناس المختلفين في الإدراك أو تأويل الحدث نفسه، بطريقة مختلفة جوهرياً والنصوص التي تحكي بواسطة أكثر من سارد، تخلق تبئيرا متعدداً مرتكزا على مؤبرين خارجيين.

4 **التبئير الجمعي:** هو تبئير من خلال مجموعة ساردين، أو مجموعة شخصيات¹. انطلاقاً مما سبق، نستخلص أن للتبئير أربعة أشكال رئيسية: فالتبئير الثابت، نعني به أن الرؤية ثابتة من خلال شخصية مفردة. وأما المتغاير تكون الرؤية تنتقل من خلال شخصية إلى أخرى والتبئير المتعدد، هو حدث نفسه يؤول بطرق مختلفة. أما الجمعي يكون من خلال مجموعة شخصيات وساردين.

إذا كان التبئير يختص بالشخصية الرئيسة في الرواية، فإن هذه الشخصية تحمل هوية معينة، لها دوافع ذاتية تلعب على أحبال بانورامية في كل رواية تذوت مهارات شخصيتها، فيبحث القارئ عن هوية الشخصية المباشرة والهامشية في الوقت نفسه، لأن التبئير يعمل على سردية الرد انطلاقاً من دائرة الهوية.

¹ يان مانفريد، مدخل إلى نظرية السرد، ص 95

المبحث الثالث: الهوية

أولاً: مفهوم الهوية:

أ- المفهوم اللغوي:

تَخْلُو الْمَعَاجِمُ الْعَرَبِيَّةُ مِثْلُ لِسَانِ الْعَرَبِ، وَالْقَامُوسِ الْمُحِيطِ وَالْمِصْبَاحِ الْمُنِيرِ، مِنْ هَذَا الْمُصْطَلَحِ بِمَعْنَاهُ الْحَدِيثِ، وَلَا يُعَدُّ الشَّرْحُ فِيهَا إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْهُوِيَّةُ مِنَ الْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ هَوَى، وَهَوَى بِالْفَتْحِ يَهْوِي هَوِيًّا وَهَوِيًّا وَهَوِيَانًا، وَانْهَوَى سَقَطَ مِنْ فَوْقٍ إِلَى أَسْفَلٍ، وَأَهْوَاهُ هُوَ، يُقَالُ: أَهْوَيْتُهُ إِذَا أَقْبَيْتُهُ مِنْ فَوْقٍ. هُوِيَّةٌ تَصْغِيرُ هُوَةٍ، وَقِيلَ: الْهُوِيَّةُ بِنَزْرِ بَعِيدَةٍ الْمَهْوَاةِ، وَقِيلَ الْهُوَةُ الْحُفْرَةُ الْبَعِيدَةُ الْقَعْرِ وَهِيَ الْمَهْوَاةُ. فَالْهُوِيَّةُ لَا تَتَجَاوَزُ مَعْنَى السُّقُوطِ وَالنُّزُولِ مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَسْفَلِ أَوْ الْبُئْرِ الْبَعِيدَةِ الْقَعْرِ: الْهََاوِيَّةُ. هُوَةٌ تُقْصَدُ بِهَا الْفَجْوةُ.

ولعل "الجرجاني" يوضح معناها أكثر فيقول: «الهوية هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق، والهوية السارية في جميع الموجودات ما إذا أخذت حقيقة الوجود لا بشرط شيء ولا بشرط لا شيء، إنها الصفة الثابتة في الذات التي لا تتبدل ولا تتأثر، والهوية ما يبدو لنا من الموجودات في الأرض للتعبير عن الحقيقة المطلقة، الراسخة في الذات الإنسانية، كما تأخذ معنى المرجع والمنبع لتعد الهوية هي الأصل والجوهر، فالهوية من هو بمعنى جوهر الشيء وحقيقته»¹ وبالتالي فإنَّ هوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد وتتغير تفصح عن ذاتها مابقيت الذات على قيد الحياة، فهي مبدأ متجذر في الذات وثابت فيها طوال عمرها.

¹ مازية حاج علي، الهوية والسرد الآخر، مذكرة دكتورا جامعة بسكرة، 2016-2017، ص10

ب- المفهوم الاصطلاحي:

عند البحث عن المفهوم الاصطلاحي، نجد أن مسألة الهوية من بين القضايا التي اهتمت بها الشعوب المتحررة حديثاً «تتشكل الهوية في أدغال الذات، حيث تتجسد عبر انتماءات ومكونات تتعلق بالجنس، والعمر والطبقة الاجتماعية، والموروث الثقافي الذي يشكل ركيزة أساسية فيها».¹

كما نجد الدكتور "زكي نجيب محمود" أخبرنا بأن الهوية تصان، ويحافظ عليها الفرد بـ«أن يتمسك الشعب بثقافته التي ورثها عن أسلافه أي في العقيدة وفي اللغة وفي الفن والأدب وفي الكثير من النظم الاجتماعية».²

أي بمعنى أن الهوية، تبنى وتحدد على ركائز متعددة وهي الجنس والعمر، الطبقة الاجتماعية والموروث الثقافي، الذي يقوم بتحديد هوية كل فرد التي تميزه بين باقي الأفراد.

وأما "إريك إريكسون" ينظر للهوية على أنها «مجموع سماته المميزة والدائمة التي تميزه بوصفه مخلوق لا تخطئه العين، الهوية هي ما يمكن للإنسان أن يصف به الآخرين من نحو دراسات الاتجاهات أو الاختبارات النفسية أو في التشخيصات الطبية على سبيل المثال»³

إلا أن الهوية هي أيضا ما أصف به نفسي عندما أتأمل بذاتي بصورة مكثفة وأشكل صورة ذاتي.

فالهوية هي شعور الفرد بذاته، حيث إنها تشمل مجموعة من «القيم، والمعتقدات الشخصية والمعايير والمعتقدات، والتجارب الحياتية، والأدوار والمهام الاجتماعية التي يقوم بها الشخص في وسط اجتماعي، له عادات وتقاليد وسمات معينة، بمعنى أنها تتضمن طريقة إدراك الشخص لذاته

¹ ماجدة حمود، اشكالية الآن والأخر، (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت (د، ط)، 2013، ص15

² المرجع نفسه، ص15

³ بيلر كوزن، البحث عن الهوية تثبيتها في حياة إريك إيركسون وأعماله، تر. سامر جميل رضوان، دار

الكتاب الجامعي، العين دولة الامارات العربية، ط1، 2010، ص93

وكيفية فهم العالم من حوله¹.» هذا بالنسبة لهوية الإنسان بصفة عامة، لأن هوية الفرد في الواقع الحقيقي هي التي تحدد هوية الشخصية في العالم المتخيل النصي.

¹ شبي الطاهر، قراءة سوسولوجية حول تطور مفهوم الهوية، مجلة دراسة في سيكولوجية الانحراف، العدد 2

، 2023، ص 182

ثانيًا: الهوية في الفلسفة:

نشأ مفهوم الهوية في الفلسفة منذ "أرسطو" بوصفه، ظاهرة النفس وهي « بقاء الشيء نفسه أو الموضوع ذاته أو المفهوم نفسه على حاله، وبالطبع فإن الهوية بالمعنى الميتافيزيقي الصارم لا يمكن أن توجد في واقع دائم التحول زمنيًا ومكانيًا، فمن المؤكد أن الحياة النفسية للإنسان في جريان دائم، ومع ذلك يوجد في كل تطور مسحة من الثبوت، فلا تتغير خصائص الشخصية على الإطلاق أو تتغير ببطء، حيث أن المرء نفسه والآخرين يمكن أن يعرفونه ويعاودون التعرف عليه بوصفه مخلوقًا باقٍ على حاله في مجرى الزمن» إذ نلاحظ أن الشيء يبقى هو نفسه رغم التحول الزمني والمكاني، فحسب أرسطو، رغم التغير إلا أنه يمكن التعرف عليه بوصفه مخلوقًا باقٍ على حاله، وأن المرء نفسه حتى لو تغيرت أعراضه¹. وبالتالي فإن الهوية لا تتغير، مهما تغير الأحوال والزمن والمكان.

ثالثًا: الهوية الاجتماعية:

ننتقل إلى مفهوم الهوية من الناحية الاجتماعية، فنجد "ريجاد جنكز" يرى أن الهوية الاجتماعية هي شيء قابل للنقاش وتأتي إثر عمليات التفاعل الإنساني، إذ تستلزم عمل مقارنات بين الناس كي تؤسس أوجه التشابه والاختلاف بينهم، فيشتركون في هوية تتميز عن هوية الناس الذين يعتقدون أنهم مختلفون، ولا يشتركون بذات الهوية. فيقول مثلاً: تحول الإنسان إلى مرحلة الكبر أو التقاعد، فالتغيرات في الهوية وفي الدور الاجتماعي المصاحب لها ترتكز إلى تمييز عشوائي بين من هم في الـ 24 والذي في سن 65، غير أن تلك التغيرات لها تأثير كبير جدًا على هوية الفرد... رغم أنك ترى نفس الوجه في المرأة، إلا أنك لن تكون نفس الفرد يوم أمس، ولن تستطيع أن تكون

¹ بيلر كوزن، البحث عن الهوية وتشتتها في حياة ايريك ايركسون، ص 93

كذلك مرة أخرى.¹ فالهوية، برأي "جنكيز"، هي جزء مكمل للحياة الاجتماعية، وهي تتشكل فقط عبر التمييز بين هويات مختلف الجماعات، والاطلاع على مختلف الهويات، فيعطي إشارة عن نوع الفرد الذي تتعامل معه، فهو جزء حيوي من الحياة الاجتماعية، كونه يجعل التفاعل ممكنًا. ففي الأخير يصل "جنكيز" إلى استنتاج أنه لن يكون مجتمع بدون هوية اجتماعية.

أمّا اليكس ميكشلي² نجده أيضًا اهتم بالهوية الاجتماعية فعرّفها على أنها «مجموعة المعايير، التي تسمح بتعريف فرد ما أو جماعة على نحو اجتماعي، وبعبارة أخرى تعني الهوية الاجتماعية السمات والخصائص التي تُوصف على الفرد من قبل عدد كبير من الأفراد الآخرين والجماعات الأخرى في المجتمع، وهي هوية اجتماعية معروفة من قبل ممثلها الذي يوافق وبشارك في الحياة الاجتماعية، عبر انتماءاته الاجتماعية المتنوعة».² من خلالها نستنتج أن الفرد لا تتفصل شخصيته عن المجتمع، بل تتكون وتتأثر بعناصر خارجية نابعة من المحيط الاجتماعي، فمن الصعب فهم الفرد دون المجتمع، لأنه نتيجة احتكاكه بمحيطه الخارجي.

رابعًا: الهوية في علم النفس:

إن البحث عن الهوية في علم النفس، مهم جدًا لفهم الفرد، نجد "إريكسون" تحدث عندما يحدث في الحياة اليومية من عمليات مستمرة لإدراك الهوية، فنحن نقيم الآخرين حسب ثيابهم أو مظهره أو رؤاهم، فنشعر بالميل أو النفور، فنعرف موقفهم منا أو ما يفكرون به اتجاهنا، وهي تمثل ضرورة مطلقة لكل تعايش اجتماعي، وعلى الناس أن يقوموا أنفسهم والآخرين، بشكل صحيح

¹ ينظر: هارلميس وهولبرون، سوسيولوجيا الثقافة والهوية تر. حاتم حميد محسن، داركيوان، دمشق سوريا ط1، 2010 ص 93.94

² -اليكس ميكشلي، الهوية، تر، علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعة، دمشق. ط1. 1994 ص 111 و 112

ليتمكنوا من الاستجابة لبعضهم بطريقة موثوقة، فالحوار مستمر بين الفرد والجماعة، فالهوية تقوم على إدراك جزء كبير من الخارج وأحدد بها داخلياً إدراكي لِنفسي، فبالتالي أؤثر بأحكامي واستجاباتي على فهم الآخرين لأنفسهم الذين يستجيبون لي من ناحيتهم بالمناقشات والتعبير عن المشاعر ويغيرون من هويتي.¹

نستنتج حسب "إريكسون" أن الهوية في علم النفس، نتاج تفاعل بين الفرد والمجتمع المحيط به من خلال المناقشات والتعبير، فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع، فهو يؤثر في استجابة الفرد لفهم الآخرين. وبالتالي فإن الهوية في العالم الاجتماعي، تختلف عن الهوية في العالم التخيلي النصي، وبدأت فعلاً الدراسات توجه أنظارها لدراسة الهوية في الرواية، وهذا بعدما ظهرت الرواية ما بعد الكولونيالية.

خامساً: الهوية في الرواية بعد الكولونيالية:

الهوية خاصة «بالإنسان والمجتمع، الفرد والجماعة هي موضوع إنساني خالص. فالإنسان هو الذي ينقسم على نفسه وهو الذي يشعر بالمفارقة أو التعالي أو القسمة بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون بين الواقع والمثال بين الحاضر والمستقبل هو الذي يشعر بالفصام وهو الذي تتقلب فيه الهوية إلى اغتراب، الإنسان وحده هو الذي يمكن أن يكون على غير ما هو عليه. فالهوية تعبير عن الحرية، الحرية الذاتية، الهوية إمكانية قد توجد وقد لا توجد إن وجدت فالوجود الذاتي وان غابت فالاغتراب.»² ومن هنا بدا التوجه الفكري نحو الاغتراب في الرواية بناء على الهوية، وذلك مع التطور الحداثي الذي شهدته الساحة الأدبية والنقدية.

¹ ينظر: بيلر كوزن، البحث عن الهوية وتشفيتها في حياة ابريك إيركسون، ص 94

² حسن حنفي حسنين، الهوية، المجلس الاعلى للثقافة، ط 1، 2012، ص 11

فتأثرت الأشكال الروائية الحديثة «بتوسع انتشار الأنماط الثقافية، لأن الأوربيين كانوا مرغمين على إدراك حقيقة أن ثقافتهم، كانت واحدة فحسب بين كثرة من الوسائل الثقافية التي يمكن بواسطتها مقارنة الواقع، إن تعددية أشكال الرواية الحديثة، وتساؤلاتها حول الواقع وولعها في إيجاد أساليب جديدة في تمثيل الواقع كل هذه كانت موضوعات تختص بالشكل الجمالي، ولكنها كانت المقام الأول تختص بالتعامل مع عوالم جديدة الأنماط أرغم فيها الأوروبيون إلى رؤية الثقافات الأخرى كأشكال ثقافية جديدة إلى جانب ثقافتهم.¹ وهذا كله يخص الرواية الأوروبية، التي هيمنت على الساحة الأدبية منذ نشأتها وتطورها، فكان لها السبق في الالتفات إلى الوعي والهوية في الرواية.

وبالتالي ساهمت هذه الأشكال الحديثة من الرواية في «إغناء الثقافات المنبعثة الطامحة للارتقاء عبر مدّها بالقدرة على تخيل الإمكانات الجديدة، وإعادة النظر في لغة القمع التي سادت الحقب الكولونيالية، وكذلك في إضفاء شكل جديد على الزمان والفضاء، والحق أن تلك الأشكال الجديدة للرواية لعبت أدوار فعالة شديدة الخصوبة في الارتقاء الثقافي لعصر ما بعد الكولونيالية، لأسباب كثيرة مناظرة لأسباب التي ظنّ معها الكتاب الحداثيون، أن الرواية يمكنها أن تحمل رؤية خلاصية للعالم الحديث، عمل الكتاب الإفارقة منذ 1908 على تحديث الرواية من خلال تشكيلها لتتنوam مع حاجات الثقافة المتعددة، والموضوعات الحديثة المتعددة، وعمل كتاب آخرون في الحقبة ما بعد الكولونيالية على تجديد الدفقة الروائية الحداثية، بجعلها عاملاً أكثر حيوية في الحراك المفضي إلى التغير الثقافي، التنوع اللغوي ومساءلة الواقعيات وإضفاء نكهة من الجدة على الحياة و مثلت الرواية الحديثة لهؤلاء الكتاب وعدا بمدهم بأسباب الانتصار في حريهم الطامحة لتحقيق النجاح الثقافي.»² فهذا الكلام يبين لنا أن الرواية الأوروبية، لفتت الانتباه للرواية الإفريقية بأن

¹ جيسي ماتز، تطور الرواية الحديثة، تر: لطيفة الدليمي، دار المدى، ط2016، ص321،322

² المرجع نفسه، ص322،323

تسير في منحى التجديد والتحديث بأن تجد لنفسها هوية وخصوصية بعيدا عن التيارات الأوروبية المفروضة.

نجد كتابة الرواية بعد الكولونيالية، أخذت شكلاً جديداً «أي حالة كفاح الأمم المستقلة حديثاً نحو تشكيل الهوية الثقافية الذاتية الكاملة قادت إلى شكل جديد من الكتابة شكل راح فيه الكتاب يكتبون منطلقين من فضاء الطرف الهامشي ذاته، وبالضد من الأفكار والتوجهات التي جعلتهم يقعون في مكان يسمى هامشاً من قبل. وراح هؤلاء الكتاب يؤكدون في كتاباتهم على ثقافتهم وبطريقة أكثر أصالة وتوسعاً من داخل فضاء تلك الثقافات، وهو الأمر الذي جعلهم يكتبون بطريقتين، أولاً وقبل كل شيء عندما تتعامل الرواية مع ما حصل للشعوب والأماكن المستعمرة، أثناء الفترة الكولونيالية وفي الفترة التي أعقبتها كذلك فهي تصف تطورات الإيجابية والسلبية معاً. حيث نهاية الحكم الإمبريالي فتح آفاق جديدة أمام تقرير المصير الثقافي وإلى نوع من الفوضى كذلك»¹ فهذا يمثل بداية الأولى لظهور الرواية ما بعد الكولونيالية، حيث بدأ الاهتمام بالدراسات حول المستعمرات والشعوب التي تحررت من الاستعمار، والتي بقيت تحت السيطرة الإمبريالية، فتمخضت عن ذلك كتابات تهتم بالجوانب المهمشة التي حفر فيها الاستعمار ومازال الأثر واضحاً في ثناياها.

ما يمكن قوله بشأن الرواية ما بعد الكولونيالية الحديثة هي أن «اللغة وطريقة تقديم الحكايات مسائل أساسية في الارتقاء وتحقيق الذات للثقافات الهامشية، كما يصح أيضاً مع الروايات الخاصة بجماعات الأقليات في ثقافات الغريبة، ذاتها التي تنتشأ عن التهجين الثقافي بطريقة درامية وفي كل شيء ابتداء من اللغة، وحتى العادات والتقاليد والهوية الذاتية، ثمة ميزة فريدة وأساسية تجعل الرواية

¹ جيسي مانتر، تطور الرواية الحديثة، ص 325-326.

التي تمتلك سمة التعددية الثقافية مملكة تسودها الرواية الحديثة، يركزون في العادة على الحديث عن القيم التعايش والتنوع والتبادل الثقافي، ولديهم اهتمامات فريدة للغاية في موضوع التعايش في فضاء تغلب عليه ثقافة مهيمنة»¹.

نفهم مما سبق، أن الهوية في الرواية ما بعد الكولونيالية تتحدد بتطور الرواية الأوروبية التي كانت مهيمنة على الساحة الأدبية، وهو ما يسمى بإمبراطورية الرواية الأوروبية، لتجد الروايات الأخرى غير الأوروبية هويتها الذاتية، بعد اكتشافها لرواية ما بعد الكولونيالية ودراساتها للأنماط المهمشة ومحاولة تبئيرها، وهذا يحدد الوعي الهوياتي في الرواية ما بعد الكولونيالية، وسنتعرف على الرواية العربية التي اهتمت بالمجتمعات المهمشة وسنسلط الضوء على رواية "غربة الياسمين لخولة حمدي" التي اهتمت بالمهاجرين من المجتمعات العربية إلى المجتمعات الأوروبية، وما هي الإشكالية التي يواجهها هذا المهاجر، هل يعيش أزمة الهوية، بين الانشطار والانفصال، أم يعيش حالة التهميش في وسط هجين؟ وهذا ما سنتعرف عليه في أوراق الفصل الثاني.

¹ جيسي مانتر، تطور الرواية الحديثة، الصفحة 342

الفصل الثاني: هوية المهاجر بين

التبئير والتهميش

- الغربة وواقع المرأة

- هجنة الفضاء

- النسق الثقافي للمهاجر

المبحث الأول: الغربة وواقع المرأة

إن موضوع الغربة من بين أهم المواضيع والقضايا التي عالجتها الرواية المعاصرة، بسبب كثرة الهجرة من بلد إلى آخر، أي من وطن الأم إلى وطن آخر جديد، وبالتالي شعور المرء بالاغتراب ونعني به، «حالة اجتماعية يستشعر المرء فيها البعد والانفصال، عن مجتمعه أو جماعته».¹ فبمجرد أن يهاجر الإنسان إلى مكان غير مكانه، يدخل في حالة نفسية صعبة وعدم شعوره بالارتياح، فيشعر بالبعد الجغرافي والشعوري، فتطراً عليه عدة تغيرات وعلى نمط عيشه فأول ما يواجه المهاجر، هو الإحساس بأنه غريب عن المكان، وعدم الانتماء إليه وحتى أنه يشعر بشعور الأمل، والفرحة وربما أنه سينجح، ويحقق الهدف الذي هاجر من أجل تحقيقه، لبناء مستقبل أفضل.

ورواية "غربة الياسمين" لروائية التونسية "خولة حمدي" قد عالجت موضوع الغربة، وصورت لنا حياة الشخص المغترب، وبالتحديد غربة المرأة والتجربة التي تأخذها عند مهاجرة بلدها الأصلي. والدوافع التي أدت بها إلى الهجرة متخلية عن حياتها القديمة، فالإنسان المهاجر سواء كان رجل أو امرأة، له سبب يدفعه للهجرة فهناك من يكون مجبوراً بسبب أسباب سياسية، مثل عدم الاستقرار الأمني أو الحروب، وهناك هو من يريد أن يهاجر ويغترب، بسبب دراسة أو عمل بحثاً عن الحرية وحياة الرفاهية، حياة جديدة غير حياته القديمة، فيترك بلده الأم الذي نشأ وترعرع فيه، ويذهب إلى بلد غير بلده عالم جديد، من جميع النواحي عادات وتقاليد ونمط عيش غير نمطه، وحتى دين غير دينه، وبيئة ثقافية جديدة من جميع النواحي، أفكار وقيم ومبادئ حتى لغة غير لغته، أي يجد نفسه أمام نمط عيش جديد، غير ملائم لنمط حياته السابقة، مما يفرض عليه التأقلم والتكيف أو

¹ - محمود رجب، الاغتراب أنواع الفكر المعاصر، العدد خمسة، 1965، ص 23

الانسحاب والعودة، إلى أرضه أو يحاول أن يتماشى مع النمط الجديد، وهذا ما نراه في رواية "غربة الياسمين" نجد "ياسمين" عانت من نمط عيش غير نمطها القديم، فعانت من الغربة وخاصة بسبب أنها امرأة مسلمة محجبة ترتدي الحجاب، فكانت مهمشة بسبب مظهرها الخارجي وواجهت صعوبة في التأقلم والاندماج مع بيئة جديدة غير معتادة عليها مغايرة تمامًا لحياتها وبيئتها السابقة. ونجد أيضا في رواية "غربة الياسمين" المرأة الضحية التي تنازلت عن أهم شيء في حياتها، مقابل أن تعيش حياة رسمتها في مخيلتها، وبالتالي يمكن القول أن هجرة المرأة، تلقى صعوبة مقابل هجرة الرجل من حيث التمييز الذي تواجهه، نجدها هي تهرب من قيود مجتمعها التي تعاني منها، طمعا في حياة مستقلة ودخل مادي أفضل، وتحقيق أحلام، لتضطرم بواقع صعب وجديد، وحقيقة مغايرة لتصوراتها السابقة فتشعر بالعزلة، والوحدة والاغتراب، وكل هذا سوف نعيشه مع روايتنا "غربة الياسمين" في هجرة المرأة، لتصبح المرأة المهمشة والمرأة الضحية، ففي "غربة الياسمين" المرأة هي من اختارت أن تهجر، لكن كيف تعيش مع الوضع؟ هل استسلمت وتأقلمت مع الوضع اما أنها دافعت عن هويتها ومبادئها؟.

أولاً: هجرة المرأة (المرأة المهاجرة)

تهاجر المرأة وتترك بلدها ومحيطها ووطنها الأم، إمّا بقرار منها بغية الاطلاع على ثقافات جديدة وعادات وتقاليد، أو قد تكون ملزمة على الهجرة، من أجل التخلص من قيود فرضها عليها مجتمعها والهجرة تعني بها التخلي والانتقال من الوطن الأصلي، إلى مكان آخر بحثاً عن حياة أفضل أو الحرية، أو من أجل العمل والدراسة، في رواية "غربة الياسمين" لخولة حمدي" نجد نماذج للمرأة المهاجرة، لدينا الشخصية الرئيسية في الرواية هي فتاة تونسية، عاشت تجربة الهجرة فهي سافرت إلى فرنسا، تاركة وراءها تونس (حطت الطائرة القادمة من تونس في مطار ليون ...

وسط جلبت المطار تلفتت ياسمين عبد القادر حولها في توهان أحالت بصرها في مزيج من الارتباك والضياح والدهشة ارتباك لانشغال عقلها بما ينتظرها وبما تركته وراءها ضياح في تجربتها الأولى في مواجهة العالم).¹ ومن هنا نرى بأن "ياسمين" عند وصولها إلى الأراضي الفرنسية شعرت بالوحدة والضياح، والتوتر من المكان الغريب عليها، فهي تشعر بالغربة داخل فضاء فسيح كثير المداخل والمخارج، حتى أنها شعرت بالحنين إلى ما تركته وراءها (الأطعمة المنزلية التي أصرت أمها أن تأخذها معها ابتسمت وهي تعيد توصياتها الثانية والخامسة والعاشره أنهما تفترقان للمرة الأولى في سنواتها الأربعة والعشرين).² نفهم بأن المرأة المهاجرة، بمجرد وصولها سوف تشعر بالحنين والاشتياق إلى أهلها ف"ياسمين" تفتقد إلى والدتها، وتذكر بأنها لم تتخلّ عن أمها طوال أربعة و عشرون سنة، وحتى أنها تحدثت بمجرد وصولها إلى وجهتها عن حالة الجو الممطر، وهي قد تركت حرارة في بلدها، وهذا يحمل دلالات عميقة وهي اختلاف البيئة، والإحساس بأنها دخلت عالم جديد، تاركة حرارة تدل على الأمان ووجدت أمطار وبرد، تدل على الاعترا ب والوحدة، (دهشة الأمطار الغزيرة التي تهطل خارج مبنى المطار و هي قد غادرت الضفة الأخرى للمتوسط على حرارة وقيظ شديدين).³

أيضا علم "ياسمين" عن طريق أمها بأن الغربة ليست سهلة، ولكن اختارت أن تخوض هذه التجربة والمغامرة لإثبات نفسها، واكتشاف ذاتها (كانت تعلم أن الغربة ليست تجربة سهلة ومع ذلك وافقت على سفرها).⁴ محاولة "ياسمين" تحقيق حلمها وهدفها، وهو مشروع الدكتوراه في علم الاجتماع، وهذا هو الدافع الذي جعلها تهاجر إلى فرنسا (ستبدأ رحلة البحث عن شركة تحتضن

¹ خولة حمدي: غربة الياسمين، دار كيان للنشر والتوزيع، (د. ط)، (د. س) ، ص32

² المصدر نفسه، ص32

³ المصدر نفسه، ص76

⁴ المصدر نفسه، ص 76

مشروعها لرسالة الدكتوراه كانت قد راسلت بعض الشركات من تونس وحصلت على مواعيد لتقديم ملفها).¹ إذا "ياسمين" الشابة التونسية، التي اختارت أن تهاجر من أجل إكمال دراستها العليا، ونجد الرواية تتحدث عن التجربة التي خاضتها في بلاد جديدة، تحت اسم المرأة المهاجرة خاصة كونها امرأة عربية مسلمة محجبة.

لدينا نموذج ثاني للمرأة المهاجرة، وهي "رنيم شاكر" امرأة أدت دور رئيسي في رواية "غربة الياسمين" عانت في صغرها وطفولتها من سخرية الأطفال، بسبب صعوبة النطق لديها (استمر والدها في عرضها على الأخصائيين النفسيين ومدربي النطق وأطباء الأعصاب حتى سنها السادسة عشر).² وهذه المعاناة جعلت منها فتاة ذكية وطموحة، فعرفت كيف تتخلص من سخرية الأطفال وتجعل نطقها سليم (فأيقنت بأن الحفظ هو المفتاح حيث ركزت على الحفظ أصبح بإمكانها تجاوز كل الصعوبات).³ وكانت ذكية، حين صممت طريقة خاصة بها لتجاوز مشكلتها وهي (كانت تضيف حرفاً وهمياً يسبق الكلمة المتبقية التي تسلّ لسانها واستمرت بتلك الطريقة تشتت انتباهها عن الحرف الأول الذي يسد حلقها وتفاجئه بحرف جديد يستهل الجملة).⁴ ف"رنيم شاكر" المرأة المجتهدة والمثابرة درست المحاماة لإثبات نفسها أمام عائلتها ومحيطها الذي سخر منها في طفولتها، وهذا كله كان بفضل شخصيتها القوية التي عملت على تكوينها منذ طفولتها (فقد فاجأت عائلتها يوماً حين أعلنت بأنها تنوي دراسة المحاماة لم يكن أحدهم يتخيل يوماً حين أعلنت أنها تنوي دراسة المحاماة لم يكن أحدهم يتخيل أن تقف تلك الطفلة المترددة

¹ خولة حمدي، غربة الياسمين، ص32

² المصدر نفسه، ص61

³ المصدر نفسه، ص61

⁴ المصدر نفسه، ص61

ذات اللسان المعوج يوماً في قاعة المحكمة وتترافع أمام حشود عفيرة جاءت لتستمع إليها¹ عزيمة وإصرار "رنيم" على دراسة المحاماة، رغم اعتراض والدها إلا أنها عارضته ودرست ما اختارت (حين أنهت دراستها الثانوية أراد أن يدخلها تخصصاً علمياً أو اقتصادياً. لكنها اختارت المحاماة وأصررت عليها.)² وهذا يدل على قوتها، وقدرتها على إثبات نفسها. فمهنة المحاماة تتطلب شجاعة وقوة للدفاع عن المظلومين، وربما "رنيم" اختارت هذه المهنة بسبب معاناتها في الطفولة من السخرية، ثم بعد إكمال "رنيم" جامعتها أرادت أن تهاجر من أجل العمل في فرنسا اختارت أن تصبح امرأة مهاجرة مغتربة، من أجل تحقيق حلمها وكل ذلك الألم الذي عاشته حولته إلى نقطة بداية لتحقيق نجاحاتها، فبعد دراستها الجامعية في مصر قررت أن تهاجر، ومن أسباب هجرتها هي العمل والبحث عن شريك حياتها، بعد أن توصلت إلى استنتاج هو عدم الزواج بالشباب المصري. (سافرت إلى فرنسا وهي تمنى النفس بلقيا فارسها الأشقر الذي سيأخذ بيدها إلى عالم الرومانسية الغربية.)³ فكانت لها صورة في مخيلتها عن الرجل الغربي والحياة المثالية التي شاهدها في الأفلام الأجنبية، فقارنته بالرجل العربي، فقررت بعدم الزواج به، فعمّت دون تردد أن الشباب المصريين، على قدر وافر من الثقافة والسطحية، "فرنيم" هاجرت للعمل أيضاً فكانت ترسم في مخيلتها، عمل في الهجرة مع زوج غربي، وهذه هي الحياة المثالية (ظنت أنها أصابت عصفورين بحجر واحد حين تحصلت على عقد تربص في مكتب ميشيل روسو)⁴ إذاً "رنيم" هاجرت من أجل البحث عن زوج أحلامها، الرجل الأشقر ومن أجل العمل، بينما "ياسمين" هاجرت من أجل الدراسة، لدينا نموذجان للمرأتين العربيتين تختلف أحلامهم، لكنهم اختاروا وجهة واحدة

¹ المصدر نفسه، ص 61

² خولة حمدي، غربة الياسمين، ص 63

³ المصدر نفسه، ص 23

⁴ المصدر نفسه، ص 23

فكيف سوف تعيش هذه الشخصيات واقع المرأة العربية المهاجرة، بأن هذه المرأة تعاني من التهميش.

ثانياً: المرأة المهمشة (المتدينة)

إن البحث عن الهامش الديني، وصورة الآخر الديني في «السرد الروائي وتصوره عن ذاته وكيفية حضوره في السرد»، هو مبحث مهم يضاف إلى المباحث النقدية التي أفادت المبحث السوسيولوجي ثقافي والذي يمكن من تفكيك الرمزية للمتخيل السردية، كدليل ومؤشر على ارتباط النص أو الخطاب بالمجتمع والتي تعكس لعوامل التاريخية والحضارية وحضور تلك العوامل في السرديات وبهذا يمكن أن تكشف بشكل جلي مجالات اشتغالات الروائي، ومدى قربه أو بعده عن الهامش الديني، الذي يمثل أحد مكونات المجتمع¹ تعاني المرأة المهاجرة، من ضغوطات في الغربية خاصة إذا كانت هذه الغربية ترفض ماهيتها أي ذاتها، من المفترض أن تكون المرأة كائنًا إنسانيًا، يمتلك حرية الاختيار لكن الغربية تفرض على المرأة ماهية مفترضة، تسلب منها حرية الاختيار، في رواية "غربة الياسمين" نجد البطلة الرئيسية "ياسمين" عانت من التهميش بسبب أنها امرأة عربية مسلمة محجبة "ياسمين" هي من أرادت ارتداء الحجاب وهذا يعتبر حرية شخصية، لكنها عند الهجرة إلى بلد فرنسا واجهت ضغوطات، جعلتها تعاني من ازدواجية بين لبس الحجاب وخلعه، إذ نزعت قد تخلت على هويتها و مبادئها، وإذا تركت الحجاب فتصبح هامشاً في مجتمع غربي، ينظر إلى حرية المرأة بعدم ارتدائها للحجاب، وأن لها الحرية في اللبس فالشخصية الرئيسية "ياسمين" بمجرد وصولها إلى فرنسا فوجئت بأن جميع الأشخاص ينظرون إلى ما ترتدي وهو الحجاب فأختها "سارة" أول من انتقدت لبسها لهذا الحجاب (لماذا تغطي شعرك؟ إنه الحجاب الذي يأمر به الإسلام لكن لمل تلبسيه من قبل نعم .لكن منذ سنتين حسمت أمري ولبسته. هذا شأن يخصك مع أن شكلك أسطح ممل مثل جدتي).² "سارة" أخت "ياسمين" لكنها عاشت وولدت في فرنسا

¹ هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، ص 137

² خولة حمدي، غربة الياسمين، ص 38

فأخذت من الثقافة الفرنسية، لذلك سخرت من حجاب أختها فشعرت "ياسمين" بالضيق تجاه أختها. "ياسمين" هاجرت لتجد ممول لبحثها فشعرت في إجراء مقابلات عمل (أخذت تحرك إصبعها في توتر بعد أن تم استدعاؤها إلى الداخل أمامها انكبت سيدة أربعين على تصفح ملفها باهتمام ظاهر.... انسة ياسمين ملفك ممتاز ويتماشى تماما مع الموصفات التي تلزمنا..... طلاقة لسانك وسلاسة فرنستيك)¹ فرحت "ياسمين" كونها تتكلم اللغة الفرنسية بسلاسة فاعتبرت نفسها أنه يمكنها الاندماج في المجتمع الغربي بفضل إتقان لغتهم، لكن سرعان ما شعرت بالخذلان بسبب ارتداء للحجاب.(فهناك قصد واحد قد لا تكون في صالحنا أمام اللجنة.... الأمر يتعلق في غطاء.... الرأس)² فالمظهر الخارجي "لياسمين" جعلها تختار بين ان تقبل في العمل أو ترفض، أي قيد لحريتها الشخصية لكن "ياسمين" رفضت الخضوع والاستسلام (آسفة لباسي ليس قابل للنقاش)³ اختارت الحجاب وهي على دراية بكل ما ينتظرها من معوقات في بلد يعاني من حرية المرأة في التجرد من ثيابها. رغم ذلك إصرار "ياسمين" على إجراء مقابلات أخرى ربما تسمح لها بإيجاد شركة تمول بحثها(سأجرب حظي مع شركة أخرى)⁴ محاولة "ياسمين" العديدة من المرات لكنها كلها باءت بالفشل تعودت أن تواجه بالرفض أحيانا مباشرة مصحوبة بإشارات صريحة إلى شكلها ولباسها وإذا قبلت في العمل يكون بشروط تتعدى حريتها الشخصية وهي إهانة في حد ذاتها، واجهت "ياسمين" الرفض حتى من وجودها أمام باب المدرسة فكانت تذهب لاصطحاب أختها(بينما كانت تنتظر سارة في ساحة اقتربت منها الناظرة وافهمتها بلطف أن وجودها في المدرسة غير مرغوب فيه.... منذ ذلك الحين توقفت عن الذهاب إلى مدرسة سارة)⁵ كل هذا

¹ خولة حمدي، غربة الياسمين 43

² المصدر نفسه، ص 43

³ المصدر نفسه، ص 43

⁴ المصدر نفسه، ص 48

⁵ المصدر نفسه، ص 71

الرفض جعلها تشعر بالوحدة والضياح فدفعها إلى هويتها المفضلة وهي الانغماس في القراءة فصار صديقها الرسمي والوحيد الذي لا يرفضها ولا يطلق عليها أحكاماً (تقرأ في المترو في غرفة المكتب حين تعود إلى المنزل بعد العشاء أيضاً)¹ كل هذا التهميش جعلها تعاني من ازدواجية في التفكير حتى وصل بها الأمر إلى التفكير في تغيير اسمها (فكرت ياسمين في ارتياح هل تحتاج هي أن تكون جاسمين كلود حتى تجد تمويلاً لبحثها)² فقدت الأمل "ياسمين" بإيجاد عمل رغم عزيمتها والبحث المتكرر (في الحقيقة كنت مهتمة حين وصلت لكنني رأيت أن اهتمامكم بلباسي أكبر من اهتمامكم بكفاءتي)³ ممّا دفع بها إلى تغيير المكان المقيمة به والسفر إلى باريس بعد توصية أبوها تم قبولها (تلك الفتاة التي تلبس غطاء رأس رايتها تخرج من مكتبك وقالت بأنك وافقت على عملها هنا أنت جد هل نظرت إليها جيداً قبل أن تتخذ قرارك؟ لم انظر إلى شكلها فقط بل إلى سيرتها الذاتية إنجازاتها تجاربها لا يهمني بماذا تؤمن وما هي معتقداتها من الناحية العلمية هي مناسبة فشكلها لا يقلقني)⁴ كل هذه التعقيدات جعلت "ياسمين" لا تنوي الإطالة في هجرتها (لا نية لي في الإقامة في فرنسا على المدى الطويل.... لم أنجح بالحصول على تمويل للدكتوراه إلا بمشقة إضافة إلى غربة البلد واستشعر غربة الروح)⁵ الغربة والتهميش الذي عاشته "ياسمين" إلا أنها لم تتخلّ عن مبادئها ورفضت التخلي عن هويتها (ليست لي نية بالاندماج، الاندماج يعني التخلي عن الهوية والمبادئ والذويان في المجتمع حتى يتقبلنا الآخرون وهذا لا يناسبني)⁶ رغم كل أشكال التهميش التي عانتها لكنها لم تتخل عن هويتها بل

¹ خولة حمدي، غربة الياسمين، ص72

² المصدر نفسه، ص75

³ المصدر نفسه، ص82

⁴ المصدر نفسه، ص105

⁵ المصدر نفسه، ص140

⁶ المصدر نفسه، ص141

تمسكت بها رغم أن التهميش المتواصل ولد لديها ازدواجية في التفكير، هل تتخلى عن الحجاب أم لا ، فأصبحت تعيش صراعًا داخليًا، مما دفعها إلى التفكير في تغيير اسمها.

ثالثًا: المرأة الضحية:

يعد موضوع المرأة الضحية من أبرز القضايا التي طرحتها الرواية العربية، إذ نجد في رواية "غربة الياسمين" أنموذجًا للمرأة الضحية، بعدما سبق أن أشرنا إلى المرأة المهاجرة، والتي تعاني من التهميش، والآن دور المرأة الضحية ، في الرواية نجد أن "ريم" كانت ضحية لرجل غربي بسبب تنازلها عن أهم شيء في حياتها، "ريم" الفتاة المصرية التي عاشت حياتها في حرية، واستقلالية ومعاناة بسبب حياتها التي كانت مزيجًا من التضارب والتناقض (فهي نشأت في عائلة جد متفتحة لم يحاسبها والدها يومًا على تصرفاتها ولم يعاتبها على إسرافها في أمر ما، أيًا كان كانت دومًا سيدة نفسها... رغم حضورها مجالس الخمرية لكن يدها لم تمتد إليها يومًا، ورغم أنها لم تكن تصوم رمضان لكنها كانت تمتنع عن الأكل أمام الآخرين أثناء النهار... ورغم التحرر الشديد في طريقة لباسها إلا أنها لم تسمح يومًا لأي رجل بلمسها أو تجاوز حدود الأدب معها لكنها نجحت في شق طريقها وسط المجتمع الفرنسي).¹ "ريم" لم تتعرض إلى التهميش، بسبب تقارب مظهرها الخارجي مع معايير المجتمع، مما سهل اندماجها في مجتمع غربي لكن هذه القوة لم تمنعها من السقوط داخل دائرة المرأة الضحية، لارضاء رجل كان قد لعب دور الضحية، فأعطته كليتها ليتخلى عنها وتصبح هي الضحية، بعدما كانت تعمل معه ووضعت كل ثقتها فيه (تحصلت على عقد تربص في مكتب ميشال روسو، كانت محامية مساعدة، لكن سرعان ما قربها منه

¹ خولة حمدي، غربة لياسمين، ص 23

وجعلها ساعده الأيمن في القضايا الهامة التي يتولاها.¹ اندماج "رنيم" في المجتمع الغربي والفرنسي بسهولة بسبب حياتها المشابهة، مع البيئة الاجتماعية التي هاجرت إليها. طموح "رنيم" في الزواج من رجل غربي دفعها إلى التنازل عن كليتها، ظناً منها أنه لن يتخلّ عنها نتيجة تضحيتها بجزء منها (ميشيل سيأتي حتماً تريد أن تصدق ذلك عرضت نفسها للخطر لتنقذ حياته أهدته قطعة من جسدها ليعيش هل يطلب يدها حين تغادر المستشفى..... لكنه لم يسأل عنها منذ ذلك الحين أشفق عليها مسكينة.²) هنا لعب الرجل دور الضحية، فأعطته كليتها ثم تغير موقفه بعدما أخذ ما يريد، وجعلها في موضع الشفقة بسبب تضحيتها، اصرار "رنيم" على أنه لم يتخلّ عنها "ميشال" حتى التأكد بنفسها (تعلمين جيداً أنّ علاقتنا لا يمكن أن تنجح، أقدر وأحترمك كصديقة عزيزة وسأظل..... لكن أنت تريدين الزواج وأنا لست مستعد له بعد.)³ صدمة "رنيم" بعد علمها أنه استغلها من أجل كليتها، وأن موقفه تغير بعدما أخذ ما يريد وأنه لم يقابل هذا الفعل بالوفاء بل تعتمد على خداعها. مما جعله يعود إلى دوره الرئيسي وهو التسلط ورفع الخضوع للمرأة، بعدما ضحت بكليتها، تحت اسم الحب والتضحية والجميل، ورغم ذلك لم تستوعب أنها ضحية خداع بل استمرت في تبرير سلوكه (هتفت في لهفة وهي تتطلع إلى باقة الورود البيضاء اللون الأبيض ليس لون الاعتذار؟..... سارعت الممرضة بإخراج البطاقة التي تصاحبها وقرأت التوقيع بصوت عالٍ ميشال روسو..... لم تكن تدرك أن تعلقها به قد بلغ هذه الدرجة من العمق. مجرد ذكر اسمه كان كافياً لتعود الحياة لها.)⁴ لكن سرعان ما خاب ظنها فيه مرة أخرى، بعدما تم خداعها والتخلص منها بإرسالها إلى باريس، من أجل العمل بدل أن يقابل تضحياتها بالاعتراف اختار أن

¹ خولة حمدي، غربة الياسمين، ص 23

² المصدر نفسه، ص 22

³ المصدر نفسه، ص 26

⁴ المصدر نفسه، ص 28

يغير حتى موقعها بعدما بحث لها عن عمل آخر. (ألو من على الخط؟ أنا رنيم شاكر، عضت على شفيتها من الندم لماذا عرفت بنفسها كان عليها أن تطلب ميشال أو تعليق الخط ، الأستاذة رنيم شاكر شكراً لاتصالك ميشال روسو حدثني كثيراً عنك وشكر خصالك المهنية كثيراً بما أنك تنتقلين إلى باريس، ميشيل أوصاني بك خيراً استمعت بذهول هكذا أن ميشال يريد التخلص منها نهائياً بإرسالها إلى باريس)¹ إصابة "رنيم" بالانهيار بعدما سمعت خبر إرسالها إلى باريس والتخلص منها للأبد، فقررت القبول ، وعدم البكاء عليه، باستنتاجها أنها كانت طيلة الوقت على هامش حياته. وعليه نستنتج، أن المرأة الضحية تستغل تضحياتها دون مقابل، كما أن انكارها لحقيقة الخداع يجعلها عرضة لخيبات أمل جديدة، كما أن التعلق العاطفي الشديد، للمرأة بالشخص قد يدفعها إلى تقديم تضحيات كبيرة، قد تهدد حياتها، كما "رنيم" لم تفقد كلية فقط أو قطرات دم بل فقدت حب الحياة.

المبحث الثاني: هجرة الفضاء

المكان في الرواية «اكتسب أهمية كبيرة ليس لأنه أحد عناصرها الفنية، أو لأنه المكان الذي تجرى فيه الحوادث وتحرك خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء، يحتوي كل العناصر الروائية بما فيها من حوادث وشخصيات وما بينهما من علاقات ويمنحهما، المناخ الذي تفعل فيه وتعبر عن وجهة نظرها ويكون هو نفسه المساعد على تطوير بناء الرواية والحامل لرؤية البطل، والممثل لمنظور المؤلف. فالمكان ليس عنصراً زائداً في الرواية هو يتخذ أشكالاً، ويتضمن معانٍ عديدة»². و الفضاء في الرواية ينشأ، من خلال «وجهات نظر متعددة لأنه يعاش على عدة مستويات من طرف الراوي، بوصفه كائناً مشخصاً وتخيلياً أساساً من

¹ خولة حمدي، غربة الياسمين، ص 30

² هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، ص 197

خلال اللغة، التي يستعملها فكل لغة لها صفات خاصة لتحديد المكان ثم من طرف الشخصيات الأخرى التي يحتويها المكان».¹

يمكن أيضاً إضافة «علاقة الإنسان للمكان الذي يعيش فيه، فإن الإنسان يعيش في مجموعة من القواقع يتميز كل منها بصفات خاصة، بالنسبة إلى علاقته بها وتطرح هذه العلاقات عدداً من المشاكل الخاصة تنعكس على تصور الإنسان للمكان».² إن الإنسان يرتبط بالمكان، الذي يعيش فيه ارتباطاً وثيقاً، فالفرد يعيش فيه ويمارس فيه حياته اليومية، ففي رواية "غربة الياسمين" نجد أن الفضاء الروائي كان يتجلى بين تونس وفرنسا، أي أنه هجين لم يكن عربياً منذ بداية النص الروائي إلى نهايته، ولا فرنسياً، فهو مزيج بين فرنسا وتونس، في وقت واحد، وثنائية الفضاء تخلق ثقافة وهوية متعددة للفرد.

1. تونس: تمثل في الرواية الفضاء الأصلي، الذي تنتمي إليه البطلة ويعكس جذورها الثقافية وهويتها الأصلية (كبرت في منزل جدتها في "حي باب السويقة" قلب المدينة العتيقة، حيث البيوت المنخفضة المتلاصقة والأزقة الضيقة المتعرجة.... لعبت الكرة مع الصبيان بين زاوية "سيدي محرز" وجامع "باي محمد".... احبت حيها الشعبي بجدرانها المتهاكة المتساقط طلائها.... ، وروائح الجاوي والبخور التي تعبق بها الجو في كل حين).³

2. فرنسا: تجسدها الرواية على أنها بلد الحضارة والحداثة، بلد التقدم والعلم، مما يجعلها قبلة للشخصيات الروائية نحو تحقيق حلمهم، وطموحهم العلمي (بعد يومين تبدأ مرحلة جديدة من

¹ حسن بحرواي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1 1990، ص32

² سيزا قاسم، بناء الرواية مهرجان القراءة للجميع، (د ط)، 2004، ص 104

³ خولة حمدي، غربة الياسمين، ص13

حياتها الدراسية، سجلت في مدرسة خاصة لعلوم الحاسب....وفي نفس الوقت ستبدأ رحلة البحث عن شركة تحتضن مشروعها لرسالة الدكتوراه كانت قد رسلت بعض الشركات من تونس وحصلت على مواعيد لتقديم ملفها)¹.

3. المخبر: تكشف الرواية عن المخبر بأنه فضاء للبحث العلمي، والتجارب الحديثة ومجالاً للاحتكاك الثقافي، مما يساهم في خلق فضاء هجين (انكب عمر الرشيد على مهجره الإلكتروني يدقق في ذرات تركيبته المبتكرة، عقد حاجبيه في تركيز وهو يلاحظ تأثير المحلول الكيميائي الذي أضافه للتو على المادة التي تشغل تفكيره منذ أسابيع)²

4. الجامعة: نعني بها فضاء للمعرفة والانفتاح على مختلف الثقافات وتجربة الاحتكاك بالآخر (الجامعات في باريس نوعان: النوع الأول حديث التشيد وهو غالباً في ضواحي العاصمة يتسم بالواجهات البلورية اللامعة والتقليعات العصرية في الشكل والهندسة، أما النوع الثاني... حجارة ملساء ضخمة وأعمدة رخامية تحمل تاريخاً وتحكي قصة عن حياة الترف والبذخ... بعد أن كانت قصوراً ملكية في حياة سابقة)³.

5. البيت: يظهر البيت في الرواية، أنه فضاء نفسياً، لأنه يعكس حالة الشخصية، فالبطلة عاشت في فضاء بسيط بحياة هادئة مليئة بالراحة، وعند انتقالها إلى بيت فخم، لم يمنحها نفس الإحساس وهذا ما يكشف عن أن الرفاهية المادية لا يمكن أن تعوض فقدان الفضاء الأصلي (قطعها صوت

¹ خولة حمدي، غربة الياسمين ص 14.

² المصدر نفسه، ص 51

³ المصدر نفسه، ص 121.

إيلين وهي تشير إلى بناء شاهق تحيط بها حديقة صغيرة رفعت رأسها ببطء لتطالع واجهة البيت للحظات بنظرات خالية من التعبير يبدو أجمل من الصور وأكبر).¹

6. المطار: يمثل المطار فضاءً انتقالياً يعكس لحظة الانتقال من فضاءين مختلفين (.حطت الطائرة القادمة من تونس في مطار ليون "سانت اكزوبيري" الدولي في ذاك اليوم الممطر من صيف 2004).²

7. المسجد: يجسد في الرواية حضور الهوية الدينية داخل الفضاء الغربي، مما يخلق فضاء هجيناً (لم يكن إيجاد المسجد سهلاً فالتفتي صلاة الجماعة).³

8. المحكمة: تمثل فضاء قانونياً، في الرواية لمحاكمة المهاجر في اتهامه بالإرهاب (في قاعة المحكمة عم الارتباك في صفوف الحاضرين).⁴

9. السجن: في الرواية نجد السجن بأنه فضاء إقصاء وعقاب للمهاجر المهمش (في زنزانة السجن الضيقة العفنة).⁵

10. المطعم الإسلامي: يمثل فضاء هجيناً، لأنه في موقع غربي لكنه يحمل ثقافة وهوية دينية (حُثت ياسمين الخطو نحو بوابة المطعم الذي بات تعرفه جيداً).⁶

¹ خولة حمدي، غربة الياسمين، ص 34.

² المصدر نفسه، ص 32.

³ المصدر نفسه، ص 359.

⁴ المصدر نفسه، ص 400.

⁵ المصدر نفسه، ص 395.

⁶ المصدر نفسه ص 382.

11. المترو: فضاء عمومي، هادئ حيث يلتقي فيه المهمشين والمركزين (كانت ياسمين تجلس

على مقعد منفرد في عربة المترو).¹

هذه مجموعة من الفضاءات المتنوعة، داخل الرواية منها فضاءات مركزية، وأخرى هامشية، تبعا لموقع الشخصية داخلها، مثلا في شخصية "ياسمين" و "عمر" نجد أن فرنسا تمثل لهم فضاء هامشيا، لأنه بالنسبة لهم يعتبر مركزا جغرافيا لا يمثل هويتهم الثقافية، بينما فرنسا بالنسبة للمجتمع الغربي تمثل مركزا، في حين أن المطعم الإسلامي، والمسجد، يمثل لهم المركز لأنه يحافظ على هويتهم الثقافية والدينية، وللمجتمع الفرنسي يمثلان هامشا، أما تونس بالنسبة لـ"ياسمين" تعتبر مركزا، فهي الأصل الثقافي، والانتمائي لها. أما للغرب فهو مجرد موقع جغرافي هامشي، أما المحكمة والسجن، فهما للشخصيات المهاجرة هامشا، لأنه أقصى درجات الإقصاء، وداخل المجتمع الغربي فيمثلان، المركز والسلطة والدولة، والشارع هو فضاء الاحتكاك بين الثقافات، إذاً فهو تهमيش محتمل لمهاجر عربي. فنتغير هذه الفضاءات وفق منظور الشخصية وعلاقتها بالمكان، فالشخصية هي المسؤولة عن المكان، إما مركزا أو هامشا.

المبحث الثالث: النسق الثقافي للمهاجر

أولاً: تمثيلات المهاجر

بما أن رواية "غربة الياسمين" تعالج قضية الهجرة والاعتراب، وما يعانيه الإنسان المغترب من شعور بالغربة والحنين إلى الوطن، ومعاناته من الإقصاء داخل المجتمع الغربي، تطرقت الروائية أيضا للحديث عن الهجرة غير الشرعية، بتصوير معاناة المهاجر غير الشرعي و الدوافع التي أدت به إلى خوض تجربة الموت، فالهجرة غير الشرعية هي الانتقال من البلد الأصلي إلى بلد جديد

¹ المصدر نفسه، ص70

عبر قوارب الموت، أو بطرق سرية أخرى غير شرعية مخالفة للقانون، وتكون بدافع التخلص من البطالة، أو الأوضاع السياسية المزرية كالحروب، أو رغبة في تحسين المستوى المعيشي، بينما الهجرة الشرعية هي انتقال من بلد إلى آخر، وفق القوانين والإجراءات الرسمية، بدافع الدراسة أو البحث عن فرص عمل أفضل، وتطوير المهارات. جسدت الروائية صورة المهاجر الغير الشرعي في شخصية "نادر" الشاب الجزائري الذي هاجر إلى فرنسا، عبر قوارب الموت، ليصطدم بواقع صعب ليعاني من التشرد والجوع، وملاحقة الشرطة. واقع مختلف تماماً عن الصورة التي رسمها في مخيلته، ويظهر ذلك في (قفز اللص المختلس وهو يضم غنيمته تحت ذراعيه.... تمكن عمر من اللحاق به سريعاً... خذي حذرك في المرة القادمة... سأسلمه بنفسه إلى الشرطة.... تفوه حين كلمه الشاب بالعربية في توسل: أنا عربي... ولا أتشرف بالعربي أمثالك مرغتم رؤوسنا في الوحل بتصرفاتكم..... بعضنا يجاهد ليشق طريقه بشرف... في حين أن البعض من أمثالكم يسيئون إلى سمعتنا كل يوم).¹

إن التشرد والجوع جعل من "نادر" لصاً، من أجل أن يعيش ويأكل ويشرب، رد "عمر" على اللص أنه لا يشرف العرب، كونه سارقاً وهذا يعطي فرصة من أجل الطعن في ديننا، وعزتنا واحتقار المهاجرين العرب، ليخبره اللص عن معاناته التي دفعت به للسرقة (لم أكن أريد أن أكون كذلك... لم أكل شيئاً منذ يومين أعيش على الفضلات وبقايا المطاعم منذ أكثر من أسبوعين.... أنام في العراء دون لحف وفرش أشرب من مياه الأسنة ومن النافورات العمومية).² وهذا ما يعكس معاناة المهاجر الغير الشرعي من ضغوطات نفسية وجسدية، جوع وخوف، تشرد وضياح، عدم وجود مأوى، يعاني من الاستغلال في العمل، يعمل في وظائف شاقة بأجور منخفضة، رفض

¹ خولة حمدي، غربة الياسمين، ص 88، 89.

² المصدر نفسه، ص 90.

تأجيره مسكن لعدم تسوية وضعه القانوني، اختلاف اللغة تجعله لا يستطيع التواصل، بينما المهاجر الشرعي، يعاني من اغتراب ثقافي وديني، ويواجه صعوبة في الاندماج داخل المجتمع الغربي، رغم استقراره القانوني. فالمهاجر الشرعي يتحصل على حماية بسبب وضعيته القانونية السليمة، يدرس ويبحث عن عمل، لكنه يعاني من التهميش، بسبب هويته وأصله وشكله الخارجي بسبب عدم اندماجه مع الثقافة الجديدة، وعدم التخلي عن هويته ودينه، يعاني من إقصاء داخل المجتمع الغربي، ومن التشرد والحرمان، نجد في الرواية عدة نماذج للمهاجرين الشرعيين، فهم لم يعانون من الجوع والتشرد مثل المهاجر الغير الشرعي، لكنهم عانوا من نوع آخر وهو التهميش مثلاً "ياسمين" بسبب ارتدائها للحجاب، و"عمر" كونه شخصاً عربياً مسلماً. إذا كشفت لنا الروائية في روايتها عن اختلاف طبيعة المعاناة بين المهاجر الشرعي، والمهاجر الغير الشرعي، وأن طبيعة الاختلاف بينهم لا تلغي اشتراكهم في تجربة الاغتراب، داخل فضاء غربي جديد.

ثانياً: تبئير المهاجر المهمش

يتجلى تبئير الشخصية المهمشة، في رواية "غربة الياسمين" من خلال شخصية "عمر" الذي ينتمي إلى أصول مغربية، مما جعله شخصيةً مهمشةً داخل المجتمع الغربي، ينظر إليه بأنه مختلف ثقافياً وهوياتياً ودينيًا، وهذا ما جعله في صراع حول البقاء على هويته الأصلية أو التخلي عنها، بالاندماج داخل مجتمع غربي، ينظر إلى المهمش بالنظرة الدونية، ويوصفه الآخر الذي لا ينتمي إلى فضاء المركز، نتيجة اختلافه مع المجتمع الذي يعيش فيه، من انتماء جغرافي ومبادئ وقيم، يتجسد ذلك في رواية "غربة الياسمين" في شخصية "عمر الرشيد" الذي رفض الاندماج داخل المجتمع الغربي الذي يفرض عليه، معايير ثقافية جديدة لا تتوافق مع هويته ودينه الإسلامي (مرت سنوات خمس على إقامته في آرون ألب... أكثر شهرة شتاء من البحيرات

والكهوف والغابات التي تتنافس على مدار العام في إغراء المقيمين والزوار بالانغماس في متعة الطبيعة الصافية ،على امتداد تلك السنوات الخمس، لم تتجاوز المرات التي أجاب فيها عمر نداء الطبيعة عدد أصابع اليد الواحدة لم يكن ذلك عن نفور أو ازدراء لكن العزلة، التي رفع أسوارها حوله اختياريا جعلت حياته مقفرة من الأصدقاء.¹

اختيار "عمر" البقاء لوحده على أن يندمج داخل مجتمع غربي، لا يستوعب اختلافه فأصبح يوصف بأنه شخص منعزل، نتيجة عدم اندماجه، فدعوته إلى الانخراط مع زملائه أدت به إلى إطالة لحيته بشكل لافت، تفرقوا من حوله وجعلهم يعيشون في حالة رعب ضنا منه أنه حصل على الحرية، ليفاجئ بدعوات من مختلف الإدارات، ليبرئ نفسه من التهم التي ألحقت به بسبب لحيته (إدارة الكلية التي حرصت على التأكد من عدم انتسابه إلى أي مجموعة إسلامية متطرفة وحتى يثبت حسن نواياه ولا يخسر منحة الدراسية اضطر إلى تشذيب لحيته وتقليصها ليحتفظ بذقن ماعز أنيق).²

بين لنا هذا أن "عمر" اضطر إلى قص لحيته، كاستجابة لضغط اجتماعي فرضه المجتمع الغربي على الشخص المهمش، فاللحية تدل على الهوية الدينية الإسلامية وثقافة الرجل العربي، لكن داخل فضاء غربي تدل على شخص متشدد ومتطرف، مما دفع "عمر" للتخلي عنها حتى يقبل من طرف المجتمع الغربي، محاولا التقليل من مظاهر اختلافه، تدور أحداث الرواية بأن "عمر" رفض الخضوع والاستسلام والتخلي عن هويته وبين محاولته التأقلم مع المجتمع الغربي ،من خلال تعديل مظهره الخارجي، مما يعكس اندماج خارجي وظاهري لا يمس هويته الثقافية والدينية (بعض زملائه الباحثين يجلسون غير بعيد عنه لم يفكر في الانضمام إليهم ،علاقته بهم لا تتعدى

¹ خولة حمدي، غربة الياسمين، ص11

² المصدر نفسه، ص 12

التحية العابرة والابتسامة المجاملة منذ أيام عمله الأولى في الشركة بنى حول نفسه صورا لم يسمح لأحدهم تجاوزه¹ إذا معرفة "عمر" للعيش في محيطه الجديد دون ذوبان فيه، بالتخلي عن مبادئه وقيمه التي انغرست فيه كونه رجلا عربيا مسلما، على الرغم من انتماء شخصية "عمر" إلى موقع هامشي إلا أن الرواية تمنح هذه الشخصية مركزية، بجعلها تحتل موقعا رئيسيا داخل الرواية، بجعل "عمر" البطل الرئيسي في رواية "غربة الياسمين" الذي اتهم بالإرهاب، بسبب حدوث انفجار داخل مخبره مغلّقا ضحايا. اتجهت أصابع الاتهام لـ "عمر" كونه رجلا مسلما، ليصبح المتهم الرئيسي في هذا الانفجار، وتدور أحداث الرواية، من بداية الانفجار إلى دخوله المشفى وقاعة المحكمة لينتشر الخبر في التلفاز (ظهر المراسل وهو يضع كمامة بيضاء على وجهه أمام المبنى الذي انهار قسم منه بالكامل واشتعلت النيران الحارقة في بقاياها... الانفجار الذي دوى منذ نصف ساعة في قلب مدينة ليون شعر به كل سكان المدينة بدرجات متفاوتة... بالإضافة إلى بضع إصابات حرجة تجاوز عددها الثلاثين حالة).² أدى الانفجار إلى خسائر مادية وبشرية، مما أدى إلى توقع أنه عمل إرهابي (هل تتوقعون سيدي أن تكون العملية اعتداء إرهابيا مثل ما حصل في تولوز؟)³ أدى هذا الانفجار إلى إصابة "عمر" بإصابة بالغة وانتشار عدد الجرحى في مستشفى "ليون" فأدى إلى تدخل الشرطة من أجل التحري واستجواب الحارس الليلي للشركة التي حدث بها الانفجار، ليخبرهم بـ (بعد أن مررت بالمختبر سمعت الدكتور يصلي.... سمعته يقول كلمات يرددونها المسلمون في صلاتهم.... يصرخ بصوت عالي "الله أكبر"... ربما كان ذلك غريبا لم يرد دكتور عمر يصلي في المختبر... من قبل في حين تسمر المحققان في مكانهما تبادلا نظرة طويلة لا تحمل إلا معنى واحد وعبرة من أصل عربي تتردد في ذهنيهما لدينا مشتبه

¹ خولة حمدي، غربة الياسمين، ص55

² المصدر نفسه، ص 111

³ المصدر نفسه، ص 111

به¹ جعل "عمر" مشتبه به بسبب كونه من أصل عربي، وأنه مسلم قال "الله أكبر" وهذا ما جعله يتهم بالعمل الإرهابي، لتصبح قضيته قضية رأي عام ونجد ذلك في قول (سيتم نقله إلى دائرة باريس، رئيس الجمهورية بنفسه طلب ذلك حتى تنظر فيه المحكمة المختصة في الإرهاب. فهناك اعتقادات شبه أكيدة بأن خلية إرهابية وراء الحادثة والشاب المتهم كان المنفذ.)² شعور "عمر" بالصدمة والظلم والاضطراب، بعد اتهامه كونه رجلا مهاجرا داخل مجتمع غربي رفض الاندماج فيه، والتخلي عن هويته الدينية، وجد نفسه متهما بقضية إرهابية وصاحب سوابق، يظهر ذلك فيه (تسمرت عينا عمر على ملامح رجل القاسية هو لا يصدق ما تسمع أذناه إرهاب! يتهمونه بالإرهاب لم يكن يستوعب شيئا.. مع خسارته البدنية والنفسية والمادية الفادحة مع كل هذا يريدون وضعه على كرسي الاتهام؟ الملف يشير إلى سوابق في سجلك، سوابق؟ فغر عمر فاه غير مصدق إدارة جامعة غرونوبل بلغت عن طالب ذي سلوك مريب من المشتبه انتماؤه إلى جماعة متطرفة، سلوك مريب كل هذا من أجل سنتيمترات لحية عفا عنها مقص الحلاق.)³

كونه رجلا عربيا مسلما، اتهم بأنه قام بعملية انتحارية، وينضم إلى جماعة إرهابية، لأنه سبق أن أطلأ لحيته وأطلق عليه أنه متطرف ومتشدد، ليجد نفسه داخل دائرة الاتهام، وأي اتهام بقضية إرهابية. إذا هذا المهاجر أصبح عبارة عن شخصية رئيسية في الرواية، ولكنه في الواقع عبارة عن شخصية مهمشة، بمجرد رفضه الاندماج داخل المجتمع الغربي والذوبان فيه.

¹ خولة حمدي، غربة الياسمين، ص 121 120

² المصدر نفسه ص 144

³ المصدر نفسه، ص 154

ثالثاً: الصراع بين المركز والهامش

لا يمكن مقارنة الهامش الاجتماعي في الرواية، دون التوقف أمام الهامش الجغرافي، لأنه يعد أهم الأسباب التي يصنف الناس ومن خلالها وعلى أساسها إلى مركز وهامش «فحتمًا كل مجتمع مهما كانت هويته ومهما كانت الفترة الزمنية التي ينشأ فيها، يكون له مركزا يتركز فيه الحاكم والسلطة وكل آليات التحكم في هذا المجتمع، كما يكون له أطراف أو هوامش تقترب أو تباعد عن المركز بحسب اهتمام ذلك المركز بها، ومن أهم الأسباب التي توجد فكرة الهامش والمتمن في مجتمعاتنا وتقيم صراعًا و جدلية بينهما لا ينتهيان، هي فكرة المركزية، مركزية الدولة والسلطة التي تتخذ لنفسها مكاناً جغرافياً يسمى العاصمة، ويصبح كل ما يحيط به من أماكن وبيئات جغرافية بمثابة أطراف وهوامش، وعند الحديث عن الهامش المكاني والجغرافي، كواحد من الهوامش الاجتماعية التي عالجها الكتاب في روايتهم، نلفت النظر إلى ذلك الهامش الجغرافي، ليس هامشاً واحداً بل هو هوامش متعددة، يحددها بسبب ونوع الإقصاء والتهميش، الذي يمارسه المركز»¹.

ظاهرة الهجرة وتداعياتها أدت إلى بروز صراع بين ثنائيات المركز والهامش، أي بين السكان الأصليين والمهاجرين. وما أدى إلى ظهور هذا الصراع وهو الاحتكاك بين أفراد المجتمع، والتحولات التي فرضتها الهجرة، برزت توترات عميقة بين السكان الأصليين (المركز)، والمهاجرين (الهامش) وقد اهتمت الروائية "خولة حمدي" في روايتها "غربة الياسمين" بتجسيد هذا الصراع لا بوصفه صراعاً جغرافياً فحسب، بل يتجاوز ذلك ليصبح صراعاً ثقافياً سببه الهوية والانتماء الجغرافي، والمبادئ والقيم المختلفة، ليصبح المهاجر بين صراع هل يبقى على هويته وأصله؟ أم يندمج في مجتمع جديد، ويتخلّى عن هويته، ومبادئه وحتى دينه؟.

¹ ينظر: هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، ص 190، 191

ففي رواية "غربة الياسمين" قامت الروائية بتصوير فرنسا هي المركز، والبلاد العربية تونس هي الهامش، فتدور أحداث الرواية بين مجموعة من الشخصيات، منها الفرنسية مثل "ميشال روسو"، و"إيلين كلود"، "باتريك كلود"، والشخصيات المهاجرة العربية، هناك "ياسمين عبد القادر" الفتاة التونسية و "زيم شاكور" الشابة المصرية و"فاطمة أم ياسمين" و"عمر الراشدي" الرجل المغربي و"سامي كلود" (كمال عبد القادر) يعكس تنوع الشخصيات من فرنسية، عربية وتونسية، جزائرية إلى تعدد في الهويات والقيم والمبادئ، واختلاف أنماط التفكير، وهذا ما يعكس الصراع بين السكان، الأصليين والمهاجرين. إذ نجد شخصيات تحاول التشبث بهويتها الدينية والثقافية، في مقابل أخرى تندمج وتتخبط داخل المجتمع المركزي، ساعية للقبول الاجتماعي، مما يجعل الشخصيات في صراع مع الذات بين الانتماء والاغتراب، وبين الخضوع والاستسلام أو المقاومة. نجد مثلاً شخصية "عمر الراشدي" وهو عربي ومسلم، قاوم وتمسك بهويته ودينه رغم المعاناة التي عانى منها ووصفه بالإرهابي، إلا أنه لم يتخلّ عن هويته، بل حافظ عليها وعلى دينه، ولم يخضع للاستسلام ويظهر ذلك في قوله (لقد تعودت أن أكون مختلفاً في هذا المجتمع ولم يعد يعنيهم رأيهم في اختلافي، لست ساعياً لإرضائهم أو نيل مباركتهم ولن أغير مساري لأنه لا يعجبهم، لذلك من العبث الاهتمام بما يقولونه).¹ بينما يظهر "وليد الراجحي" زميل من قسم المحاسبات من أصل جزائري، قد اندمج مع المجتمع الفرنسي ويدعو "عمر" للاندماج فيه (لكنك تحتاج إلى التعامل مع هذا المجتمع وتندمج فيه حتى لا تعيش على الهامش، ستظل على الهامش يا صديقي طالما لم تتنازل عن كل مبادئك، لا تدخن، لا تشرب الكحول، لا تصاحب النساء ولا

¹ خولة حمدي، غربة الياسمين، ص 65

تلعب القمار، فلن تندمج أبدا.)¹ رفض "عمر" الاندماج، رغم وصفه بالمعقد والمنغلق، الذي لا يعرف معنى المرح.

إن شخصية الرجل الفرنسي بأصول تونسية، تتعارض مع شخصية المرأة الفرنسية، في الهوية والدين فهو من جذور عربية مسلمة، وهي امرأة تمتع بالحرية المطلقة، وقعت في حبه لكن عائلته رفضتها، مما جعلها تريد التخلي عن هويتها ودينها بدافع الحب (أعرف هيثم منذ سنتين... لكنني أحببت به شكله وشخصيته، وأخلاقه... وحيث عرفت أنه مسلم أخذت أبحث وأحاول التعرف على الإسلام كنت أرى حماسا كبيرا في عينيه...كنت أدرك أن صلتنا ستدوم ما دام تعلقي بالإسلام، لذلك أعلنت إسلامي).²

وما نفهمه من هذا أن "هيثم" رفض التعرف على "لورا" بسبب أنها على غير دينه، وبمجرد أنها أرادت التعرف على الإسلام ساعدها وأراد الزواج بها، رغم رفض عائلته لكنه أصر على تعليمها معالم ومبادئ الدين الإسلامي، حتى تصبح امرأة مسلمة (خالتي زهور ستقتنع بك حين تصبحين جاهزة حين تعرفين الإسلام جيدا وتقتنعين به ستجدين نفسك دون شعور منك تسعين إلى فعل الطاعات والالتزام بتعاليم الإسلام وهذا كل ما يريده هيثم وأهله ان تكوني مسلمة بآتم معنى الكلمة).³

نجد أيضا تعارضًا في شخصية المرأة الفرنسية، مع المرأة العربية من حيث اللباس والتحرر فالمرأة العربية المسلمة، كانت ترتدي حجابا مثل "ياسمين" مما جعل المرأة الفرنسية المسؤولة عن مقابلة "ياسمين" بالسخرية منها (يمكنك أن تنزعي معطفك - معطفي؟ تساءلت ياسمين وهي

¹ المصدر نفسه، ص57

² المصدر نفسه ص274

³ خولة حمدي، غربة الياسمين، ص274

تتشبث ما تلبسه كانت ترتدي سترة صيفية ذات أكمام طويلة، نعم مقارنة بقميص النوم الذي تلبسه هي. ابتلعت الإهانة وتجاهلتها وهي ترسم ابتسامة هادئة أضافت يمكنك أن تنزعي غطاء رأسك أشعة الشمس لا تصل إلى هنا.¹

نستنتج بأن الحجاب هو رمز ديني وثقافي، والمرأة الفرنسية سخرت منه مما يضع "ياسمين" في موضع الهامش بسبب هويتها. شخصية الرجل الفرنسي تتعارض مع المرأة العربية، بالاستغلال والرفض كونها لم تتخل عن مبادئها وقيمها التي انغrust فيها (تعلمين جيدا أن علاقتنا لا يمكن أن تنجح أقدر وأحترمك كصديقة عزيزة وسأظل ... لكن أنت تردين الزواج وأنا لست مستعدا له بعد، لا أريد علاقة تقيدني الزواج ليس إلا عقدا مكبلاً وأنا أريد أن أحتفظ بحريتي حتى لا تعقد الأمور حين يمل أحدهما الآخر أو حين تنتهي المشاعر، أريد أن أعيش اللحظة كما هي بدون تعقيد مع من يفهم وجهة نظري ولا يطلب مني أكثر مما أستطيع أن أعطي).²

"فرنيم" أرادت الزواج لكن "ميشال" رفض ذلك كونه في مجتمع يسمح بعلاقة الرجل بالمرأة دون الزواج، بعد أن هي رفضت للحفاظ على هويتها ومبادئها الإسلامية التي ترفض هذه العلاقة. أما في شخصية المرأة الفرنسية مع شخصية الرجل العربي، نجد عكس ذلك بأن الرجل هو من يرفض هذه العلاقة، حفاظاً على هويته ودينه والقيم التي تربي عليها ويتجسد ذلك في (كانت تضع ساقاً على أخرى وترنو إليه في دلال لا يقاوم حَزَّ في نفسه أن يكسر في خاطرها وهي تبدي اتجاهه كل هذا الاهتمام لكنه مضطر ... كارولين أظن أنك لم تفهميني جيداً لم ارد أن أكون فظاً لكنني مضطر إلى توضيح هذا الأمر مرة واحدة وإلى الأبد لست من النوع الذي تعتقدين أو تريدان لا أؤمن بالصدقة بين الشاب والفتاة).³ ف"عمر" حافظ على هويته ورفض

¹ خولة حمدي، غربة الياسمين، ص 82

² المصدر نفسه، ص 25

³ المصدر نفسه، ص 84

الاندماج مع قيم المجتمع الغربي والانحلال فيه، وأما علاقة الشخصية الفرنسية للرجل، مع المرأة العربية، نجد "باتريك" يحمل حقدا داخله بسبب كرهه للعرب، فقد حقد على "ياسمين" كونها بنت زوج أخته العربي، مما دفعها إلى الخوف منه (إذن ياسمين ابنة كمال ذلك الشخص البغيض الذي يحقد عليه كل الحقد ... مزال يذكر اليوم الذي طرده من البيت وقذف أشياءه أمام عيني ايلين الباكية ... كلما تذكر تلك المرحلة من ماضيه تمنى أن يرفع لافتة ... يكتب عليها ممنوع على الكلاب والعرب).¹ حقه كان بسبب ماضيه، وكرهه للعرب، بسبب زواج أخته من عربي مفكرا بأنه سوف يقيدھا ويجعلھا سجينه على وجه الأرض .

فبين الصراع بين الهامش والمركز، نجد "كمال عبد القادر" أو "سامي كلود" والد "ياسمين" الذي غير اسمه، ليندمج في مجتمع غربي من أجل أن يخرج من دائرة الهامش، ويقبل من طرف المجتمع الفرنسي (قد يبدو الأمر غريبا في البداية لكن اذا فكرت جيدا لوجدته قرارا صائبا ، يحتاج المرء الاسم المناسب في المكان المناسب لا أريد الإهانة لكن اسما فرنسيا يسهل الاندماج ويساعد على شق الطريق خصوصا في مجال البحث العلمي الذي يخص والدك).² من أجل الاندماج داخل مجتمع غربي قرر "عبد القادر" التخلي عن اسمه و بالتالي التخلي عن هويته الاصلية.

نستنتج أن الصراع بين المركز والهامش، لا يكون صراعا جغرافيا فقط، بل يتجاوز ذلك ليصبح بين أفراد المجتمع المركزيين والمهمشين، فهو صراع بين الهويات والمبادئ، والقيم وبين المرأة المحببة والمرأة المتحررة، في روايتنا نجد أن "ياسمين" رغم معانيتها ووصفها بالإرهابية، إلا أنها لم تتخل عن هويتها الإسلامية و"عمر الراشدي" على الرغم من جعله إرهابيا بسبب قوله كلمة الله أكبر، إلا أنه على ثبات في هويته العربية. وهناك من الشخصيات التي عاشت الاندماج مع

¹ المصدر نفسه، ص210

² -المصدر نفسه، ص 75،76

المجتمع الغربي، مثل "سامي كلود" الذي غير اسمه. وأمّا "رنيم" كونها امرأة متحررة إلا أنها رفضت الخضوع للرجل الفرنسي، الذي رفض الزواج بها.



الخاتمة

في نهاية هذا البحث المتواضع حول "انشطار الهوية وتبئير الهامش لخولة حمدي" نقدم مجموعة من الملاحظات والاستنتاجات التي جمعناها:

- أن أدب الهامش ظهر كأداة مقاومة، لظهور صوت الفئة المهمشة.
- ومن مجالات أدب الهامش هو أدب الطفل، والزوجة والنسوية، والمهاجرين.
- كشفت لنا الروائية "خولة حمدي" في روايتها "غربة الياسمين" عن معاناة المهاجرين من إقصاء وتهميش واغتراب داخل المجتمع الغربي.
- أن هجرة المرأة تكون في بعض الأحيان، حتمية لأوضاع اجتماعية أو سياسية كما قد تكون بدافع العمل أو التعلم، وهنا في الرواية نجد أن هجرة المرأة نابعة من رغبة شخصية.
- عرضت الروائية قضايا المرأة المهاجرة في الرواية، والضغوطات التي واجهتها في الغربة خاصة أنها ترفض ماهيتها.
- يتجلى انشطار الهوية في الشخصيات المهاجرة، نتيجة صراع بين قيم وأخلاق الثقافة الأصلية مع الثقافة الجديدة.
- صورت لنا الروائية معاناة المرأة المسلمة المحجبة، داخل المجتمع الغربي بسبب زيها الإسلامي لتصبح تعاني من ازدواجية بين خلع الحجاب لتندمج داخل المجتمع أو عدم التخلي عليه وتبقى على هامشه.
- أن المهاجر تطمس هويته عندما يصبح مهاجر في مكان ليس مكانه، لتصبح هويته أدنى من وطنه.
- تبين أن الصراع بين المركز والهامش، لا يكون صراع جغرافي فقط بل يتجاوز ذلك ليصبح بين أفراد المجتمعات، فهو صراع بين الهويات والمبادئ.
- عرضت الروائية قضايا المرأة وحاولت تسليط الضوء عليها، منها قضية صراع المرأة المهمشة (المحجبة)، وصراع المرأة مع الرجل لتصبح ضحية له.
- أن شخصية "عمر" شخصية مهمشة في الواقع كونه رجلاً مسلماً اتهم بالإرهاب، لكن في الرواية أصبح عبارة عن شخصية رئيسية.

وفي الختام، لا يسعني إلا أن أحمد الله عز وجل الذي وفقني لإتمام هذا العمل المتواضع.

الملحق

1_ التعريف بالروائية: خولة الحمدي

أ. حياتها:

ولدت 12 يوليو 1984 م بتونس العاصمة، كاتبة تونسية وأستاذة جامعية في تقنيات المعلومات بجامعة الملك سعود بالرياض. حصلت على شهادة في الهندسة الصناعية، كما حصلت على درجة الماجستير في الإدارة من كلية الإدارة في "سانت إتيان" بفرنسا في عام 2008 م بحلول عام 2011 م حصلت الكاتبة التونسية على درجة الدكتوراه، وكانت قد نالت الماجستير في الرياضيات التطبيقية في فرع بحوث العمليات، من جامعة تروي التكنولوجية في فرنسا. دخلت "خولة حمدي" عالم الكتابة والتأليف والنشر بكتاب "أحلام الشباب" عكس هذا الكتاب ذكريات فتاة مسلمة وصدر في 320 صفحة باللغة العربية عام 2006م.

ب. أعمالها:

- في قلبي أنتى عبرية 2012
- غربة الياسمين 2014
- أن تبقى 2016
- أين المفر 2018
- أريني أنظر إليك 2020
- ياسمين العودة 2021
- ياسمين الأبيض 2023
- سماء بلا ضياء 2025
- إعصار بلا قرار 2025
- نار بلا أشرار 2026¹

¹ سيرة الروائية في موقع ويكيبيديا: <https://ar.wikipedia.org/>

2_ تلخيص رواية "غربة الياسمين":

تدور أحداث رواية "غربة الياسمين" حول مجموعة من الشخصيات الرئيسية وهي "ياسمين"، "عمر"، "رنيم"، حيث تبدأ أحداث الرواية بـ "ياسمين" الفتاة التونسية التي سافرت إلى فرنسا من أجل إيجاد ممولاً لرسالتها في الدكتوراه، تبدأ رحلة البحث عن الممول لتتقاضي بالرفض والسخرية بسبب وضعها للحجاب، رغم إعجابهم بملفها إلا أنهم اشترطوا عليها لباس خاص بالعمل، وعدم وضع الحجاب، وكونها تعيش وسط مجتمع علماني غير مسلم، جعلها تفكر في تغيير اسمها من أجل قبولها في العمل، و بمساعدة والدها "سامي كلود" الذي يعيش في فرنسا تم قبولها لتسافر مرة أخرى إلى ليون ليقترح عليها موضوع "الانتحار" كموضوع لبحثها، كونه يتعرض له الكثير من الناس ثم تنتقل إلى بيت خالتها "زهور" وتقيم عندها أيام قليلة، بسبب حدوث انفجار في فرنسا.

وفي هذه الأوقات تبدأ رحلة البحث عن منزل تقيم فيه، لتجد "رنيم" تبحث عن شريكة في السكن. أما الشخصية الثانية هي "رنيم شاكر" شابة مصرية متحررة من عائلة متفتحة، سافرت إلى فرنسا رغبةً في إيجاد زوج غربي متحرر، وهي تعمل محامية مساعدة لـ "ميشال روسو" الذي كانت تجمعهم علاقة حب من طرف واحد، وقد بلغ حبها لدرجة أن تتبرع له بكليتها ظنناً منها أنه سوف يتزوج بها، لكن أحلامها تبخرت بعدما اكتشفت أنه استغلها من أجل أخذ الكلية فقط، وقد قام بإرسالها إلى ليون للعمل مع صديقه كمحامية. ثم تلتقي بـ "ياسمين" ليشتركا بنفس السكن، وعلى الرغم من اختلاف تفكيرهما وطريقة لباسهما، إلا أنهما يصبحان أفضل صديقتين تربطهما علاقة صداقة متينة، في حين نجد الشخصية الأخرى "عمر" هو شاب مغربي درس في فرنسا عانى من العنصرية كونه مسلماً قام بوضع اللحية أيام دراسته الجامعية ليطلق عليه أنه رجل إرهابي، بعدها قام بقصها من أجل إكمال دراسته، ليصبح باحثاً في مجال الطاقات ويعمل على مشروع الطاقات النظيفة، وبعد نجاح مشروعه بدقائق يحدث انفجار. ليجد نفسه متهم بالإرهاب، بعدما سماعه الحارس يقول "الله أكبر" قبل الانفجار فيدخل إلى السجن وتصبح "رنيم" المحامية المختصة بالدفاع عنه.

انتهت الرواية بسجن "عمر" وعرض "هيثم" ابن الخالة "زهور" الزواج من "ياسمين" وتبقى النهاية مفتوحة.

A decorative scroll frame with a light gray background. The frame has a vertical scroll on the left side and a horizontal scroll on the top right. The text is centered within the frame.

قائمة المصادر

والمراجع

1-المصادر :

خولة حمدي، غربة الياسمين، دار كيان للنشر والتوزيع، (د، ط)، (د، س).

2- المراجع العربية :

- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي ط1، 1990.
- حسن حنفي حسنين، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 1، 2012.
- روبير إسكارييت، سوسيولوجيا الأدب، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، س).
- سيزا قاسم، بناء الرواية، مهرجان القراءة للجميع، (د. ط)، 2004.
- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية)، عالم المعرفة، الكويت، (د. ط)، 2013.
- هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الادب قراءة سوسيو ثقافية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2015..

3-المراجع المترجمة :

- أليكس ميكشيللي، الهوية، تر: علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعة، دمشق ط1، 1994.
- برنار موراليس، الآداب الهامشية أو الآداب المضادة، تر: حسن الطالب، (د. ط)، (د. س).
- بيلر كوزن، البحث عن الهوية وتشتتها في حياة إيريك إيركسون وأعماله، تر: سامر جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، العين، دولة الإمارات العربية، ط1، 2010.
- جيسي مانتز، تطور الرواية الحديثة، تر: لطيفة الدليمي، دار المدى، ط1، 2016.
- هارلمبس وهولبرون، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حاتم حميد محسن، دار كيوان، دمشق سوريا ط1، 2010.
- يان مانفريد، مدخل إلى نظرية السرد، تر أمانى أبو رحمة (د. ط)، (د، س).
-

4- المجالات والمقالات :

- شبي الطاهر، قراءة سوسيولوجية حول تطور مفهوم الهوية، مجلة دراسة في سوسيولوجيا، الانحراف، العدد 2، 2023.
- محمود رجب، الاغتراب أنواع، الفكر المعاصر، العدد 5، 1965.

5- المذكرات والرسائل الجامعية:

- دليلة لباح، المركز والهامش، مذكرة دكتوراه، جامعة بسكرة، سنة 2016، 2015.
- مازية حاج علي، الهوية والسرد الآخر، مذكرة دكتوراه، جامعة بسكرة، 2017، 2016.

6-المواقع الإلكترونية:

- موقع ويكيبيديا : <https://ar.wikipedia.org/>



فهرس المحتويات

مقدمة	
الفصل الأول: الإطار المفاهيمي لأدب الهامش	
6	المبحث الأول: أدب الهامش
6	أولاً: مفهوم الهامش
6	أ- لغة
7	ب- اصطلاحاً
8	ثانياً: نشأة أدب الهامش
8	أ- عند العرب
9	ب- عند الغرب
10	ثالثاً: مجالات أدب الهامش
12	المبحث الثاني: مصطلح التبئير
12	أولاً: مفهوم التبئير
13	ثانياً: المؤبر
13	ثالثاً: الشخصية التبئيرية
13	رابعاً: أشكال التبئير
15	المبحث الثالث: الهوية
15	أولاً: مفهوم الهوية
15	أ- المفهوم اللغوي
16	ب- المفهوم الاصطلاحي

فهرس المحتويات

18	ثانياً: الهوية في الفلسفة
18	ثالثاً: الهوية الاجتماعية
19	رابعاً: الهوية في علم النفس
20	خامساً: الهوية في الرواية بعد الكولونيالية
الفصل الثاني: هوية المهاجر بين التبئير والتهميش	
25	المبحث الأول: الغربة وواقع المرأة
26	أولاً: هجرة المرأة (المرأة المهاجرة)
30	ثانياً: المرأة المهمشة (المتدنية)
33	ثالثاً: المرأة الضحية
35	المبحث الثاني: هجنة الفضاء
39	المبحث الثالث: النسق الثقافي للمهاجر
39	أولاً: تمثيلات المهاجر
41	ثانياً: تبئير المهاجر المهمش
45	ثالثاً: الصراع بين المركز والهامش
الخاتمة	
الملحق	
قائمة المصادر والمراجع	
فهرس المحتويات	